RASHID

AL-IDRAK...

Princeton University Library
32101 074496363

2274
.36182
.348

2274.36182.348
Rashid
al-Idrak...

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

زكريا محمود راشد
المحامي

الإدراك ودرجات الوجود

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٠٥٩٤
Rashid, Zakariya Mahmud
al-Idrak

الإدراك ودرجات الوجود

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم »
« كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن »
« كثير * قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * »
« يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام »
« ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم »
« إلى صراط مستقيم » سورة المائدة

تأليف

زكريا محمود راشد

المحامي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

(RECAP)

2274
.36182
.348

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ »

« اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ »

« الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ »

سورة العلق

1-21-70 1585

إهداء

أهدى هذا الكتاب إلى العقول التى هى إدراك بلغ من كماله أنه يعى ويرى ويستمد سعادته من حقيقة ذاته وسمو إدراكه ورؤياه لحقائق الوجود ومايجرى فيه من نظام .

المقـــدمة

موضوع هذا الكتاب إنما هو نظرة إلى الوجود وما يجرى فيه من نظام فهو يبحث فى الوجود ومصدره ودرجاته وأزليته وفى الزمان وتعاقبه وفى الخلائق مما تتكون ومن أين تأتى وإلى أين ينتهى بها المصير .

إن الإنسان يأتى إلى هذه الحياة وهو لايدرى من أين أتى ولا سبب مجيئه وينام مايقرب من نصف حياته ولايدرى أين يختفى إدراكه ويحيا فى كبد العيش ونصب الحياة وآلامها ولايدرى لذلك حكمة ، ويموت ويخرج من هذه الحياة ولا يدرى أين يذهب إدراكه الواعى الذى يرى .

ومازال الإنسان يبحث عن سر الحياة المغلق ليعرف من أين أتى إلى هذه الحياة وإلى أين ينتهى به المصير هل إلى حياة أم إلى عدم وهل سيعود إلى الحياة أم أن الحياة ليس من سبيل إلى العودة إليها .

ولكى نصل إلى علم ذلك لابد من أن نتجه بإدراكنا إلى حقائق الوجود مجردين من الكبرياء والغرور كاشفين عن إدراكنا حجب المادة حتى نستطيع أن نصل بإدراكنا إلى أعماق الحقيقة مجردة لا ريب فيها ..

المؤلف

الوجود

الوجود هو المكان والفضاء، والمكان هو مايحتويه الوجود من أشياء، والفضاء هو ما يقع بين الأشياء من خلاء، فأساس الوجود المادة والفضاء .

إننا إذا أردنا تحديد الفضاء وجب أن نحيطه بالمادة وأن يكون وجودها غير محدود وإلا كان وراءها فضاء ويستحيل أن نتصور وجود مادة تحيط بالفضاء وتحدد وجوده إذ أن الفضاء هو ما يقع بين عناصر المادة من خلاء .

إن تحديد الأشياء يكون بوجود الخلاء كما أن تحديد الخلاء يكون بوجود الأشياء فالمادة يتحدد وجودها بالفضاء والفضاء يتحدد وجوده بالمادة إذ أن المادة ينتهى وجودها بوجود الفضاء كما أن الفضاء ينتهى وجوده بوجود المادة . وهكذا أينما كنا من الوجود وفى أى اتجاه نتجه إليه دون أن نصل إلى نهاية ينتهى عندها الوجود فالفضاء لا حد له والأشياء لا حصر لوجودها أو عددها فما يحتويه الوجود من شموس وكواكب لا حصر لعدده ، ذلك أنها تملأ وجودا غير محدود .

إن العالم المادى منتظم انتظاما بديعا لا عوج فيه فما به من نجوم وشموس وكواكب تزين السماء جميعها فنحن لا نرى جهة تزينها

النجوم وأخرى فضاء خلاء وفضلا عن ذلك فعناصر العالم المادى تجرى فى الوجود على نظم وقواعد دقيقة فالشمس تشرق من المشرق فهى لا تشرق مرة من المشرق وأخرى من المغرب وثالثة من الشمال ورابعة من الجنوب وما نجد يوما طويلا جدا والذى يليه قصيرا جدا فالنظام يشمل العالم المادى من ذراته إلى شموسه وكواكبه .

إن ما يحتويه العالم المادى من خلائق لا حصر لعددها إذ أن كل شمس تمد الحياة التى تنشأ على الكواكب التى تدور فى فلكها بالنور والحرارة فوجود لا حد له وخلائق لا حصر لعددها .

إن عناصر المادة تختلف نظمها وحالاتها وصورها وأشكالها بين شموس وكواكب ونبات وخلائق وبين عناصر صلبة ، وسائلة ، وغازية ، ومشعة إلى غير ذلك من الصور والحالات إلا أن النباتات والخلائق التى تنشأ فى العالم المادى يجرى وجودها على نظم خاصة تغاير النظام العام الذى يخضع له العالم المادى ولذا كانت الأجسام سريعة الانحلال إذ ينفك نظامها وتعود عناصرها إلى الطبيعة وتخضع للنظام العام الذى جرى على مقتضاه العالم المادى وكما أن الأجسام تنتظم وينفك انتظامها فتماساً على ذلك لابد أن النظام العام للعالم المادى سوف ينفك بدوره فتنطلق العناصر المادية من عقال نظامها بحيث تكون جميعها على حالة واحدة من الوجود لا تختلف بعضها عن بعض نظاما وشكلا ووجودا وتكون قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، فالشموس والكواكب وأرضنا وأجسامنا تنطلق فى

الوجود متفرقة فيه مالئة له .

إن انطلاق عناصر العالم المادى من عقال نظامها لا يكون دائما إذ أن طبيعة المادة لا تبقى على حالة واحدة دائمة إذ تعود العناصر المادية فتختلف نظمها وحالاتها وينطوى وجودها وتتجمع وتنتظم مرة أخرى فى شموس وكواكب تعود بعودتها الحياة فتنشأ حياة النبات والحيوان وتتم بظهور الحياة الإنسانية مرة أخرى .

وهكذا من غير انتهاء .

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) سورة الأنبياء

الزمـــان

الزمان هو فترة البقاء ويتميز بما يجرى فى الوجود من نظـــام فالشمس تشرق فيأتى الصباح وتغرب فيأتى المساء ، فإذا انتهى النظام انتهى الزمان بانتهائه . إن الزمان ليس له ذاتا حقيقية تعبر عن وجوده فهو فترة بقاء مجرى النظـــام فى الوجود .

إن البقاء متعلق بذات الوجود فانعدام الوجود معناه انعدام البقاء فينعدم الزمان تبعا لذلك ، فإذا كان الوجود دائما كان البقاء أبديا وعن بقاء الوجود وأبديته نشأ الزمان ، ذلك أن الزمان هو فترة بقاء نظام يجرى فى وجود أبدى خالد .

(يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ الميِّتِ ويُخرِجُ الميِّتَ مِنَ الحَيِّ ويُحيِ الأرضَ بعدَ موتِها وكذلكَ تُخرَجونَ ، ومِنْ آياتِهِ أنْ خلقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إذا أنتُمْ بشرٌ تنتشِرونَ * ومِنْ آياتِهِ أنْ خلقَ لكُمْ مِنْ أنفُسِكُمْ أزواجاً لِتسكُنوا إليها وجعلَ بينَكُمْ مودَّةً ورحمةً إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يتفكَّرونَ * ومِنْ آياتِهِ خلقُ السمواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتِكُمْ وألوانِكُمْ إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ للعالمينَ * ومِنْ آياتِهِ منامُكُمْ باللَّيلِ والنهارِ وابتغاؤُكُمْ مِنْ فضلِهِ إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يسمعونَ * ومِنْ آياتِهِ يُريكُمُ البرقَ خوفاً وطمعاً ويُنزِّلُ مِنَ السماءِ ماءً فيُحيي بِهِ الأرضَ بعدَ موتِها إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يعقِلونَ ، ومِنْ آياتِهِ أنْ تقومَ السماءُ والأرضُ بأمرِهِ ثُمَّ إذا دعاكُمْ دعوةً مِنَ الأرضِ إذا أنتُمْ تخرُجونَ * ولهُ مَنْ فِي السمواتِ والأرضِ كلٌّ لهُ قانِتونَ * وهوَ الذي يبدؤُا الخلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وهوَ أهونُ عليهِ ولهُ المثلُ الأعلى فِي السمواتِ والأرضِ وهوَ العزيزُ الحكيمُ)

سورة الروم

المدركات

المدركات هى المخلوقات والمخـــلوقات هى موجودات مدركة لذاتها وللوجود الأقل منها .

إن الخلائق تذهب وتجيء حسب رغبتها وتحرك أعضـــاءها بإرادتها وتدرك مقومات حياتها وتحافظ عليها فتخشى الغرق والاحتراق وتخاف وتهرب إذا أدركت أن هنالك خطرا يهدد حياتهـــا كما أنها تدافع عن نفسها إذا أعتدى عليها كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا وقد تعتدى على مخلوقات أضعف منها تنتزع منها الحياة لتحيا على أنقاضها فالإدراك هو أساس الوجود وحقيقته وبه نشأت الحياة وكان العلم والمعـــرفة .

إن الإدراك لابد لوجوده من ذات مدركة يصدر عنها تدرك ذاتها وتدرك الوجود الأقل منها فلكى ندرك ، لابد من وجودنا نحن الذين يصدر عنا الإدراك ولابد كذلك من وجود الأشياء التى نشملها بإدراكنا .

فما هى إذا الذات التى يصدر عنها الإدراك الواعى للمخلوق ؟

إن المخلوق يدرك إدراكا واعيا يرى فذاته المدركة من صفات عناصرها أنها تعى وترى وهذا يعنى أن الإدراك الواعى الذى يرى ليس صادرا عن ذات الجسم لأن المادة ليست مكونة من عناصر من

صفاتها الرؤيا أو الإدراك الواعى وفضلا عن ذلك فإن الإدراك الواعى لا يتقيد مداه بمقدار ما يحتوى عليه الجسم من المادة إذ أننا لا نستطيع معرفة مدى الإدراك بوزن المخلوق فليست القاعدة أنه كلما كثر طعام المخلوق زاد وزنه وعظم إدراكه وكذلك فإن الإدراك الواعى لا يصدر عن وجود المادة فى حالات وأشكال وصور خاصة ذلك لأن مدى الادراك لا يتقيد تماماً بحالة الجسم وشكله وصورته إذ أن ادراك المخلوق لا يكون فى منتهى كماله عندما يكون شاباً يفيض جسمه بالحياة والقوة والنشاط فإدراك المخلوق لا يتقيد تماما بحيوية الجسم وحالته إذ أن الإدراك يعظم كلما عظمت فترة الحياة فى حين أن الجسم يكون قد فقد كثيرا من حيويته ونشاطه ولذا نرى أنه بينما يصل الإدراك إلى منتهى كماله يصل الجسم إلى منتهى هرمه فالعبرة فى كمال ذات الإدراك ليست بطبيعة الجسم وحالته إذا اتحدت أنواع المخلوقات كما أننا لا نستطيع أن نضع مقياسا شكلياً نتبين به مدى كمال الإدراك بين الناس لأن الصور والإشكال - ليست صادرة مباشرة عن ذات الوجود المدرك.

إن الجسم هو مادة الطعام التى أكلها المخلوق من نبات الأرض فإذا تجرد عن الإدراك ظهر على حقيقته وكان تراباً لذلك كان الموت يذهب بالإدراك فيختفى وجوده وباختفائه يختفى كل أثر للحياة الواعية التى ترى ومانرى لها فى مادة الجسم أى أثر فلو كان الإدراك صادرا عن ذات المادة لما اختفى وجوده ولتجزأ إلى مدركات صغيرة

تعى وترى وهذا هو عكس ما نراه إذ أن الإدراك يختفى كلية وما ترى له فى مادة الجسم أى أثر وباختفائه تختفى الحياة الواعية من عناصر المادة فيعود الجسم إلى التراب من حيث أتى وما حزن الناس على موت الأجسام وعودتها إلى التراب ولكن على الإدراك الواعى الذى يرى والذى اختفى وجوده عن أبصارهم .

إن الإنسان إذا ما استوى رجلا يأبى أن يعود كما كان طفلا صغيرا قليل الإدراك والمعرفة ومع ذلك فهو يتمنى أن يعود جسمه قوياً يفيض بالحياة والنشاط وهذا التمنى قاصر على الجسم وحده فلا يتعداه إلى الإدراك وهذه التفرقة ناشئة عن اختلاف طبيعة الجسم عن طبيعة الوجود المدرك فالإنسان يأبى أن يقل إدراكه عما صار إليه فهو يتمنى كمال الجسم مع ما صار إليه من كمال الإدراك ذلك لأن طبيعة الإدراك الواعى تختلف عن طبيعة الجسم المادى للمخلوق ..

ويخلص مما تقدم أن الإدراك الواعى لا يصدر عن طبيعة المادة ولا عن حالة من حالاتها ولا عن شكل تأخذه بل الإدراك يصدر عن ذات مدركة إدراكا واعياً يرى ليست هى الجسم المادى المكون من التراب ولكنه صادر عن ذات أخرى هى التى نسميها بالعقل

إن العقل هو الذات الواعية التى تدرك وترى وهو أساس الحياة الواعية التى يحياها المخلوق ، فالخلائق يتكون وجودها من أجسام مادية من التراب ومن ذات واعية ترى هى العقل .

* * *

إن الخلائق تأخذ صوراً وأشكالا مختلفة ونظما متعددة كما

أنها تنقسم إلى جنسين ذكورا وإناثا ، فما هو مصدر نظام المخلوق وشكله وصورته وجنسه هل صدر كل ذلك عن ذات العقل أم عن ذات الجسم . .

إن هنا لك خلائق كثيرة لها أشكال مختلفة وصور متعددة كالخيل والبغال والحمير ومع ذلك نجد أن مدى إدراكها متداخل بعضه بعض فى رغم اختلاف صورها وأشكالها وكذلك تختلف أشكال الناس وصورهم ومع ذلك لاتدل أشكالهم وصورهم على مدى كمال عقولهم إذلو كانت النظم والصور والأشكال صادرة عن ذات العقل مباشرة لاستطعنا أن نتبين مدى كمال عقل مخلوق عن آخر من نوعه بمجرد النظر إلى شكله وصورته وبذلك يكون بالإمكان أن نضع مقاييس شكلية نتمكن بها من معرفة مدى إدراك الناس بعضهم عن بعض .

إن كل ما هنا لك من فرق بين الخلائق المختلفة الأنواع أننا نستطيع أن نتبين مدي كمال مخلوق عن آخر ظاهريا بمجرد النظر إلى شكله ونظام وجوده ولذلك استطعنا أن نقول إن الإنسان أعظم عقلا من الحيوان وإن الحيوان أعظم عقلا من الطيور وإن الطيور أعظم عقلا من الحشرات فالأشكال والصور تعبر تعبيرا ظاهريا عن مدى كمال عقل عن آخر وذلك لعدم صدورها مباشرة عن ذات العقل ..

إن طبيعة الإدراك العقلى واحدة لاتختلف إلى ذكور وإناث فالعقل لاهو بالمذكر ولاهو بالأنثى إذ أن كل ما بين العقول من فرق إنما

هو فى مدى كمال عقل عن آخر وكون العقول بعضها أكمل إدراكا من بعض دون نظر إلى ذكورة المخلوق أو أنوثته .

ويخلص مما تقدم أن العقل ليس مصدر نظام المخلوق وشكله وصورته وجنسه فهل صدر كل ذلك عن طبيعة الجسم ؟

إن المادة لا أثر لها فيما يأخذه جسم المخلوق من نظام وصور وأشكال ، فالطعام الذى يأكله كل نوع من المخلوقات واحد ومع ذلك تختلف الخلائق إلى جنسين ذكورا وإناثاً دون أن يكون لمادة الطعام أي أثر فى أجناسهم وفضلا عن ذلك لا نستطيع أن نغير شكل المخلوق ونظام وجوده وصورته وجنسه عن طريق تغيير طعامه أو زيادته ونقصه فنحن لا نستطيع أن نحول المخلوق من نوع إلى آخر عن طريق تغيير طعامه كما أن كثرة الطعام أو قلته لا تؤدى إلى شىء من ذلك فالقط لا يصير بكثرة الغذاء أسدا والكبش لا يصير بكثرة الغذاء ثورا وكذلك العكس مستحيل حدوثه فالثور لا يصير بقلة الغذاء كبشا والأسد لا يصير بقلة الغذاء قطا فالمادة لا أثر لها فى شكل المخلوق وصورته ونوعه وجنسه وطوله أو قصره كما أن وزن المخلوق ومقدار ما بجسمه من المادة لا يدل على شىء من ذلك ولا بد أن يكون للمخلوق وجود آخر لا هو بالعقل ولا هو بالجسم هو الذى نسميه بالنفس .

إن النفس وجود وسط بين المادة والعقل فهى أسمى من المادة لأن المادة تتبعها وتأخذ نظامها وشكلها وصورتها وجنسها وتخضع لقوانينها وأحكامها وأقل من العقل كما لا

لأن العقل هو الذات العليا التى يصدر عنها الإدراك الواعى الذى هو أساس حياتنا .

ويخلص مما تقدم أن المخلوق يتكون وجوده من وجود عقلى يرتبط به ويدور فى فلكه وجود نفسى وفى فلك الوجود النفس ترتبط المادة وتأخذ نظامه وشكله وصورته وجنسه فالمخلوقات يتكون وجودها من ثلاث درجات من الوجود هى العقل والنفس والجسم متجاذبة ومرتبطة بعضها ببعض ولذلك تقيدت طبيعة كل وجود منها بطبيعة الوجودين الآخرين المرتبطين به فالعقل تقيد وجوده بالنفس والجسم وكذلك الجسم تقيد وجوده بالنفس والعقل وهكذا تتقيد طبيعه كل وجود بطبيعة الوجودات الأخرى التى يرتبط بها وينتج عن ذلك ظهور آثار طبيعة كل وجود فى الوجودات الأخرى التى يرتبط بها ويكون مقيدا بطبيعتها وهذا يستلزم أن يكون هنالك توافقا بين طبيعة ونظم هذه الدرجات المختلفة من الوجود فأى اختلال قد يؤدى إلى فك التجاذب بينها أو إلى عدم ظهور آثار وجود فى الوجود الآخر ظهوراً واضحا رغم بقاء التجاذب والارتباط بينهما قائما ، فلكى تظهر آثار الحياتين العقلية والنفسية فى العالم المادى لابد أن يكون هنالك تجاذب وارتباط بين هذه الدرجات الثلاث من الوجود ولابد كذلك من توافق طبيعتها ونظمها حتى تظهر آثار كل حياة فى الحياتين الأخرتين التى ترتبط بهما ظهورا سليما واضحا وإلا ن الموت أو المرض أو الهرم التى تنشأ عن انعدام الإرتباط أو

اختلال طبيعة درجات الوجود وعدم توافق نظمها .

إن التمييز بين درجات وجودنا المختلفة نراعيه فى أمور حياتنا فنسند الإدراك والعلم والمعرفة ومعكوساتها إلى عقولنا ونسند الإحساس والشعور بالحب والسرور والاطمئنان ومعكوساتها إلى نفوسنا ، ونسند الصحة والمرض والقوة والضعف والشباب والهرم إلى أجسامنا .

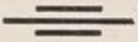

الإدراك

الإدراك هو الوجود والوجود هو الإدراك فذات الوجود هى ذات الإدراك الموجود وجوداً حقيقياً، فانعدام ذات الإدراك معناه انعدام ذات الوجود، ذلك أن الوجود هو إدراك موجود وجوداً حقيقيا مدركا لذاته حسب مدى كماله.

درجات الادراك

ا ـ درجة الإدراك المادى

الإدراك المادى هو العالم المادى، فالمادة هى إدراك موجود مدرك لذاته حسب مدى كماله، فالعناصر المادية تتفاعل مع بعضها متحدة أو منحلة، متجاذبة أو متنافرة، فالمادة هى إدراك موجود مدرك لذاته فإذا لم تكن كذلك لما حدث بين عناصرها تفاعل بالاتحاد أو بالانحلال، ولما حدث بينها تجاذب أو تنافر، فالمادة وجود مدرك، بل هى إدراك موجود وجوداً حقيقيا، فعناصر العالم المادى هى ذات الإدراك المادى المدرك لذاته حسب مدى كماله، ولما كانت المادة هى الإدراك فى درجته الدنيا، حسب الناس أنها وجود مجرد عن الإدراك فى حين أنها الإدراك الموجود وجودا حقيقيا، المدرك لذاته حسب مدى كماله.

إن الإنسان لا يستطيع دخول منزل إذا كان بابه مغلقا ، فالباب يمنع الإنسان من الدخول، وهذا يرجع إلى أن كلا من الباب وجسم الإنسان على درجة واحدة من الإدراك، عناصرها على حالة واحدة من الوجود، فتدرك ذاتها بذاتها، فلا يستطيع الجسم أن يأخذ ذات المكان الذى يشغله الباب بوجوده ،فالباب وجسم الإنسان لا يأخذان من الوجود مكاناً واحدا لأنهما من عناصر درجة واحدة من الإدراك على حالة واحدة من الوجود، فإذا فتحت الباب أو كسرته استطعت الدخول، وماذلك إلا لأن وجوده أخذ مكانا آخر ترتب عليه أن أفسح للجسم مكاناً للدخول ، فإذا كان الباب وجسم الإنسان ليسا على درجة واحدة من الإدراك عناصرها على حالة واحدة من الوجود، لترتب على ذلك أن كلا من الباب وجسم الإنسان لا يدرك أحدهما للآخر وجودا، ويكون وجود كل منهما مستقلا بذاته وحقيقة وجوده عن الوجود الآخر، وبذلك يكون بالإمكان أن يشغلا من الوجود مكانا واحدا، وما يدرك أحدهما للآخر وجودا يتقيد به ويعيق حركته، وبذلك يعتبر وجود أحدهما بالنسبة لوجود الآخر لا وجود له رغم كونهما يشغلان من الوجود مكانا واحدا .

إن النفس تشغل ذات المكان الذى يشغله الجسم بوجوده ، وما ذلك إلا لأنهما من درجتين مختلفتين من الإدراك ، ولولا وجود تجاذب وارتباط بينهما ،لما تقيد وجود أحدهما بوجود الآخر ، وصار وجوده غير موجود بالنسبة إليه .

إن العالم المادى إدراك يشمل النظام وجوده، ولا دخل لإرادتنا فى حدوث هذا النظام، فهو منتظم إلى شموس وكواكب تجرى فى الوجود، فالشمس تطلع على الناس وتغرب عنهم دون أن يكون لهم أى أثر فى حدوث الإشراق أو الغروب الذى يتم، أراد الناس أم لم يريدوا، وكذلك تتحرك الأرض فى الوجود بما عليها من الأشياء والخلائق، ومع ذلك يخيل إلينا أننا موجودون فى وجود ثابت لا يتحرك، وذلك لكمال النظام الذى تجرى على مقتضاه عناصر العالم المادى، ولما كانت أجسامنا يتكون وجودها من عناصر الأرض، كانت تابعة لها فى حركتها، إلا أن أجسامنا تتحرك فى الوجود تبعا لوجودنا العقلى فى نطاق طبيعة وجودنا المادى، فوجود الخلائق يخضع لنظام مشترك من القوانين العقلية والنفسية، فيتقيد الجسم بطبيعة وقوانين الوجودين العقلى والنفسى، كما يتقيد العقل بطبيعة وقوانين الوجودين النفسى والمادى وهكذا تتقيد طبيعة كل وجود بالوجودات الأخرى التى ترتبط بها، فالعقل يكون حيث يرغب بوسيلة نفسية ومادية، وذلك الوجود تجاذب وارتباط بين درجات الإدراك العقلى والنفسى والمادى.

إن الإدراك المادى هو أقل إدراك موجود، فعناصره ليست على درجة من الكمال بحيث أنها تعى وترى، إذ لو كانت عناصر الإدراك المادى تدرك إدراكا واعيا يرى، لكان المخلوق يدرك ويرى بجميع عناصر جسمه، وما كان فى حاجة إلى عين عن طريقها يرى، إذ تكون الرؤيا بجميع عناصر ذاته.

إن العين لا ترى بطبيعة ذاتها، لأن عناصرها من المادة، والمادة ليست من طبيعتها الرؤيا، فهى مجرد وسيلة بواسطتها يتمكن العقل من أن يرى عن طريق عدسة العين، فرؤيا العقل للعالم المادى ليست رؤيا حقيقية فهو لا يرى مباشرة بطبيعة ذاته، ولكنه يرى بوسيلة مادية صور الأشياء دون حقيقتها، لتقيد طبيعة وجوده بطبيعة عناصر العالم المادى وقوانينه، فلو كانت رؤيا العقل للعالم المادى بطبيعة ذاته مباشرة، لرأى العقل حقائق وأساس وجود هذا العالم منكشفة ظلماته بنور إدراكه ورؤياه، فيرى المادة وما وراءها من غير حجاب يحجب الرؤيا .

ب — درجة الإدراك النفسى

الإدراك النفسى هو العالم النفسى، فالنفس إدراك موجود مدرك لذاته حسب مدى كماله، فالعناصر النفسية تتفاعل مع بعضها متحدة أو منحلة، متجاذبة أو متنافرة، كما تتجاذب وترتبط بدرجتى الإدراك العقلى والمادى، فينشأ عن ذلك الحياة والموت، والتزاوج والتناسل والإحساس والشعور المنتج للحب، والفرح والسرور والاطمئنان ومعكوساتها كالحقد والبغض والكراهية والخوف، إلى غير ذلك من آثار طبيعة الإدراك النفسى الأكمل وجودا من طبيعة الإدراك المادى ولذا كانت آثاره واضحة منكشفة المعالم، فكان الحب بدل التجاذب وكان البغض بدل التنافر، وكانت الصداقة بدل التوافق، وكانت الذكورة

بدل الموجب، وكانت الأنوثة بدل السالب، إلى غير ذلك من أوجه نشاط عناصر درجة الإدراك النفسى الأسمى وجودا من طبيعة عناصر درجة الإدراك المادى .

إن نفوسنا وعقولنا ترتبط بعناصر درجة الإدراك المادى الأقل كمالا من عناصرهما، لذلك استحال علينا رؤيا طبيعة نفوسنا مباشرة لانحجاب إدراكنا العقلى والنفسى وتقيدهما بطبيعة درجة الإدراك المادى، لذلك كنا لا نستطيع أن نلمس طبيعة نفوسنا مباشرة ونتبين حقيقتها، ولا أن نرى وجودها..ذلك لأن رؤيا العقل تكون مقيدة بطبيعة درجة الإدراك المادى، فهو لا يرى حتى عناصر العالم المادى ورؤياه لها هى رؤياصور وخيال تصل إلى العقل عن طريق عدسة العين

إن إدراكنا للوجود النفسى وآثاره أثناء حياتنا المادية، إنما يكون عن طريق الأجسام التى تحجب النفوس وراءها، فنحن وإن كنا لا نرى ولا نلمس ذات نفوسنا ولا نفوس غيرنا، إلا أننا نستطيع أن ندرك وجودها كما نستطيع أن نعلم حقيقتها عن طريق إدراكنا العقلى، وفضلا عن ذلك فإن المشاعر والإحساسات الصادرة عن النفوس تنتج فعلها بين الناس، فإذا كانت مشاعر ود وصداقة تبادلها النفوس أحدثت أثرا طيباً بالمودة والرحمة ،وإن كانت مشاعر حقد وبغض أحدثت آثارها تنافرا وخصاماً قد تصل حدته إلى تشابك النفوس عن طريق أجسامها بالأيدى صراعا ونزاعا وهجوما ودفاعا، ذلك لأن الجسم تابع للنفس خاضع لآثارها، فكل ما تتأثر به النفس يظهر أثره على الجسم ،فإذا كانت النفس مسرورة كان الوجه مستبشرا والجسم

هادئا، أما إذا كانت النفس غاضبة أو فزعة ظهرت آثار ذلك على الوجه وارتفعت حرارة الجسم، فكل أثر يصدر عن النفس له فعله المباشر فى الجسم، وكذلك كل ما يحدث للجسم تتأثر به النفس نتيجة ارتباطها به، فإذا مرض الجسم شعرت النفس بالسقم، وإذا احترق الجسم شعرت النفس بالألم نتيجة الإخلال بقوانين التجاذب والارتباط بين النفس والمادة، ولولا وجود هذا الارتباط لكان الجسم كسائر ما على الأرض من المادة لا يتألم حتى لو احترق وجوده إذ أن ذلك تفاعل عادى بين العناصر المادية .

إن النفوس والأجسام تأخذ من الوجود مكانا واحدا، فالنفس تأخذ ذات المكان الذى يأخذه الجسم، وذلك لاختلاف أساس درجة الإدراك النفسى عن أساس درجة الإدراك المادى، ولولا وجود تجاذب وارتباط بين هاتين الدرجتين من الإدراك، لما تقيد وجود الجسم بوجود النفس، ولما تقيد وجود النفس بوجود الجسم، واستقل كل وجود بحقيقة ذاته وما تقيدت عناصره بعناصر أخرى، وكان لكل منهما مكاناً من الوجود حسب طبيعته، وبذلك يكون كل وجود منهما غير موجود بالنسبة لوجود الآخر ولو كانا يشغلان من الوجود مكانا واحدا .

إن الخلائق التى تظهر على الأرض لا حصر لعددها، لأن درجة الإدراك النفسى - كدرجة الإدراك المادى - عالم عناصره تملأ الوجود ووجودها بلاحدود، وهما يشغلان من الوجود مكانا واحدا

وترتبط من عناصرهما بعض التى تقبل طبيعتها حدوث الارتباط .

وإن درجة الإدراك النفسى - كدرجة الإدراك المادى - عناصرها شيطانية الوجود، منخفضة الإدراك لم، يبلغ سموها من الكمال بحيث أنها تعى وترى، فالنفوس لا ترى بطبيعة ذاتها، لذلك كان ارتباط العقل بعناصر درجة الإدراك النفسى قيد على إدراكه الواعى ورؤياه الحقيقية المباشرة للوجود، فالعقل يدرك ويرى وهو مقيد بطبيعة الإدراكين النفسى والمادى عندما يكون للمخلوق جسما مادياً يحيا به، إلا أن إدراك العقل ورؤياه عن طريق درجة الإدراك النفسى وحدها تكون أعظم من إدراكه ورؤياه عن طريق درجتى الإدراك النفسى والمادى معاً، إذ ينكشف عن إدراكه حجاب العالم المادى الأقل كمالا من درجة الإدراك النفسى، وبذلك ينكشف أمام العقل العالم النفسى، فيرى حقائقه وعناصره ..فيرى نفوس الخلائق على أمام إدراكه حقائق درجة الإدراك المادى، إذ تكون عناصرها شفافة حقيقتها، سواء كانت مرتبطة بأجسام أم مستقلة بذاتها ،كما تنكشف أمام رؤياه فيراها ويرى ما وراءها فيرى الناس فى بيوتهم وأينما كانوا من الأرض نفوساً وأجساماً من غير حجاب يحجب الرؤيا إذ أن العقل يرى عالمين لا عالما واحدا، هما العالمان النفسى والمادى وفضلا عن ذلك فإن وجوده وحركته لا تكونان مقيدتين سوى بطبيعة وقوانين العالم النفسى وبذلك يستطيع العقل أن يكون من الوجود حيث يرغب فى نطاق طبيعة وقوانين درجة الإدراك النفسى.

إن تقيد رؤيا العقل بطبيعة وقوانين العالم المادى عندما يكون

للمخلوق جسم مادى قد لا تكون تامة، وبذلك يستطيع العقل أن يرى العالم النفسى مع أن له جسما ماديا يتقيد بطبيعته، وكذلك يرى المادة وما وراءها من غير حجاب يحجب رؤياه، كما هو الحال بالنسبة للأنبياء والرسل .

« وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » (سورة آل عمران)

« وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ »

« سورة يوسف »

فلقد رأى يوسف قدوم سيدها من وراء المادة .

حـ — درجة الإدراك العقلى

الإدراك العقلى هو العالم العقلى، فالعقل إدراك موجود مدرك لذاته حسب مدى كماله، فهو يتكون من عناصر بلغ من كمالها أنها تدرك إدراكا واعيا يرى، فعناصر درجة الإدراك العقلى تعى وترى ذاتها بذاتها، كما تشمل بإدراكها ورؤياها درجتى الإدراك النفسى والمادى لسمو ذاتها وكون إدراكيها أقل منه كمالا لذلك كان ارتباط العقل بهما يحجب عنه إدراكه لذاته ولدرجتى الإدراك النفسى والمادى بطبيعة وقوانين هاتين الدرجتين من الإدراك .

إن الإدراك الأعلى هو الذى يدرك درجات الإدراك الأقل منه لسمو ذاته وكمال إدراكه عنها من حيث أنها لا تستطيع إدراكه لانخفاض درجة كمالها عن أن تدرك إدراكا أسمى منها، فكل إدراك يتقيد مداه بدرجة سمو ذاته، فكلما سمت ذاته سمى إدراكه لذاته، وعظم، مداه وتعددت درجات الإدراك التى تشملها ذاته بإدراكها، فإدراك الذات لحقيقتها يكون حسب مدى سمو طبيعتها، وفرق عظيم بين طبيعة إدراك مظلم وإدراك طبيعة تعى وترى، فعناصر ذاته تعى وترى ذاتها بذاتها، كما تشمل بإدراكها ورؤياها درجات الإدراك الأقل منها منكشفة حقائقه بنور إدراكها.

إن العقول تأخذ ذات المكان الذى تأخذه النفس والجسم فعقولنا ونفوسنا وأجسامنا تأخذ من الوجود مكانا واحدا ولولا وجود التجاذب والارتباط بينها لاستقل كل وجود بحقيقة ذاته وما ظهرت آثاره فى وجود آخر يختلف عنه فى أساس وجوده ودرجة إدراكه.

إن العقل ينتقل فى الوجود حسب رغبته، وفى فترة رغبته، دون أن يتقيد بالمسافات مهما بعدت ودون أن يتقيد وجوده بارتفاع أو انخفاض، وما تقيد حركته وانتقاله فى العوالم الدنيا إلا ناتج عن ارتباطه بطبيعتها، وخضوعه لقوانينها، فكان العقل ينتقل إلى حيث يرغب فى نطاق ما تسمح به طبيعة وقوانين العالمين النفسى والمادى، أو النفسى وحده إذا استقلت النفس بذاتها عن العالم المادى، ذلك أن عناصر العقل ليس بينها تجاذب وتنافر ينشأ عنه وجود الأوزان التى تتقيد بها

حركة العناصر فى الوجود، وكانت الرؤيا عوضا عن ذلك .

إن عناصر درجة الإدراك العقلى ليس من صفاتها التجاذب والتنافر والتوافق التى ينشأ عنها الذكورة والأنوثة ، والحب والبغض، والفرح والحزن، والألم والحقد، والحسد والخوف، إلى غير ذلك من صفات عناصر درجة الإدراك النفسى الناتجة عن اختلاف حالات طبيعتها، فطبيعة العقل قد تنزهت عن هذه الصفات لعدم اختلاف حالات عناصرها بعضها عن بعض، وما تأثر العقل بهذه الصفات إلا ناتج عن ارتباطه بعناصر درجة الإدراك النفسى التى تتداخل فى طبيعته مؤثرة فى وجوده .

إن التفرقة بين درجات الإدراك التى يتكون منها المخلوق سهلة ميسرة، فإذا صدمت يد الإنسان جسما صلبا، سواء تم ذلك بعلمه وإرادته أم بغيرهما، استطعنا أن نميز بين الآثار المختلفة لدرجات الإدراك التى يتكون منها الإنسان، فالتصادم بين اليد والجسم إدراك مادى ناشىء عن إدراك الأشياء المادية لذاتها والشعور بالألم إدراك نفسى ناشىء عن الإخلال المفاجىء بقوانين التجاذب بين النفس والجسم، ولولا ارتباط النفس والجسم لما تألم المخلوق، حتى ولو كسرت اليد، وعلم الإنسان ما حدث ناشىء عن الإدراك العقلى، سواء علم العقل سبب ما حدث وعلة حدوثه أو لم يعلم .

إن ذرة من الإدراك العقلى لا يعدل سموها درجتا الإدراك النفسى والمادى، ذلك لأنها أسمى منهما إدراكا، فهى من عناصر إدراك يعى ويرى، فإدراك بعوضة لا يعدل كماله أجسام الخلائق ولا الشموس

ولا الكواكب ولا نفوس الخلائق، وهكذا كلما سمت درجة الإدراك فإن ذرة منها لا يعدل سموها درجات الإدراك الأقل منها مهما تعددت فلو كانت هنا لك ذرة من عالم أسمى من العالم العقلى فما يعدل كمالها عقول مهما تعددت .

العلم

إن الإدراك أساس العلم ومصدره، فالعلم ينشأ عن وجود الأشياء واختلاف درجات إدراكها، وكون بعضها أكمل إدراكا من بعض، فلكى نعرف، لابد من وجود الأشياء التى نعرفها، ولابد كذلك من وجودنا نحن الذين تصدر عنا المعرفة، فإذا لم نكن نحن موجودين فلا يكون هنا لك إدراك يعرف ،وإذا لم تكن الأشياء موجودة فلا يكون هنا لك شىء نعرفه، فلكى يكون هنا لك علم لابد من وجود إدراك مدرك لذاته وإدراك أقل منه يشمله الإدراك الأول بإدراكه، فالإدراك الأعلى هو الذى يدرك الإدراك الأقل ، وعن ذلك ينشأ العلم، فالعلم ناشىء عن سمو إدراك عن آخر، وكمال ذات مدركة عن ذات مدركة أخرى أقل منها، فالقاعدة أن الإدراك الأعلى هو الذى يدرك الإدراك الأقل منه، من حيث أن الإدراك الأقل لا يدرك إدراكا أسمى منه، ولما كانت المادة هى الإدراك فى درجته الدنيا، وليس هنالك إدراك أقل منها، كان إدراكها ذاتيا قاصرا على ذاتها، فالعناصر المادية تدرك ذاتها وتتفاعل مع بعضها ولا تدرك ما عداها لأنها أقل إدراك موجود،

أما بالنسبة لدرجة الإدراك النفسى فهى أسمى من درجة الإدراك المادى لذلك كانت النفس مدركة لذاتها بدرجة أكمل كما تشمل الأجسام والأشياء المادية بإدراكها ..

فالنفس تحس وتشعر، وتتجاذب تجاذبا طبيعيا مع المادة، وترتبط بها مكونة الأجسام، فى حين أن المادة لا تدرك النفس ولا تدرى عنها شيئا، ولما كان الإدراك العقلى أسمى من درجتى الإدراك النفسى والمادى كان مدركا لذاته بدرجة أكمل، وصل من سموها أن عناصره تعى وترى ذاتها بذاتها، كما تعى وترى درجتى الإدراك النفسى والمادى إلا أن إدراكه ورؤياه لطبيعة ذاته وللنفوس والأجسام يكون مقيدا عندما تكون ذاته مرتبطة بها، فتحجب رؤياه لحقيقة ذاته، كما تقيد رؤياه لحقائق العوالم الدنيا بطبيعة وقوانين العناصر التى يرتبط بها وجوده، فإذا استقلت ذاته بحقيقتها شمل بإدراكه ورؤياه حقيقة ذاته، فترى عناصر ذاته ذاتها بذاتها كما تدرك وترى مباشرة بحقيقة ذاتها حقائق درجات الإدراك الأقل.

إن العقول يتقيد مدى كمال إدراكها حسب مدى كبر ذاتها، فكلما كبرت ذات العقل عظم إدراكها، فالعقول الكبيرة أعظم إدراكا من العقول الصغيرة، لأنها تفوقها كبرا، وتتحد معها فى طبيعة وجودها فالعقول تدرك حقائق العالم المادى حسب مدى كبرها، بعكس العقول الصغيرة التى لا تستطيع التفرقة بين الصور والحالات المختلفة لدرجة الإدراك المادى حتى يعظم وجودها فتستطيع أن تشمل بإدراكها دقائق وحقائق العالم المادى، إدراكا لا يختلف فيه عقل عن عقل إلا

حسب مدى كبر ذاته .

إن الإدراك درجات بعضها أكمل من بعض، فالكمال هو غاية درجات الإدراك، وغاية الكمال هو بلوغ الكمال منتهاه بأن يكون الإدراك مطلقا حيث تكون الذات فى منتهى سموها ويكون وجودها فى منتهى الكبر .

الادراك المطلق

الإدراك المطلق هو منتهى كمال الإدراك، حيث أن الذات فى منتهى سموها ووجودها فى منتهى الكبر ، فالإدراك المطلق هو الإدراك الذى لا يتقيد كمال ذاته أو كبر وجوده .

إن منتهى كمال الذات أن يكون إدراكها مطلقا، فأيا ما كان منها مدركا إدراكا مطلقا لذاته وللذات كلها، فإدراك جزئها كإدراك كلها لا ينقص عنه شيئا، وإدراك كلها كإدراك جزئها لا يزيد عليه شيئا، فأيا ما كان منها هو الإدراك المطلق فى منتهى كماله المدرك لذاته إدراكا مطلقا والذى يشمل الذات المطلقة بإدراكه المطلق .

إن الإدراك المطلق يستلزم ألا يكون شيئا لأن ذاته منتهى كمال الإدراك، ووجودها منتهى كبر الوجود، فى حين أن الأشياء يتقيد مدى كمال إدراكها بمدى سمو طبيعتها التى يتقيد وجودها ويتحدد ويزداد إدراكها أو ينقص حسب كبر وجودها أو صغره ، وهذا يخالف طبيعة الإدراك المطلق الذى بلغت ذاته منتهى سموها وبلغ

وجودها منتهى الكبر، فهو مطلق الإدراك، مطلق الوجود، وجوده بلا حدود، إن الوجود المطلق يستلزم أن يكون واحدا لا يتعدد، لأنه إذا تعدد تقيد وجوده وتحدد بعدد أفراده فلا يكون وجودا مطلقا كما يستلزم أن يكون واحـــدا لا يتجزأ لأن التجزؤ صنو التعدد قيد على منتهى كبر الذات إذ تكون مكونة من عناصر يتقيد وجودها ويتحدد، فلا تكون طبيعة الذات فى منتهى الكبر، لأن، كبر الذات قيده تجزؤ وجودها، وفضلا عن ذلك فإن إدراكها لا يكون مطلقا لأن الذات التى يتجزأ وجودها يزيد إدراكها بزيادة الوجود وينقص بنقصه، فلا يكون إدراك الذات مطلقا.

إن الإدراك المطلق وجود أساس ثابت لا يتحرك، إذ أن تحرك الوجود هو انتقاله من مكان يشغله بوجوده إلى آخر يحل وجوده فيه، فلا يكون الوجود مطلقا، ولا يكون وجودا أساسيا.. ذلك أنه يمكن أن تشغل ذات وجوده درجات أخرى من الوجود لا تنتهى بحصر أو عدد، فى حين أن الوجود الأساسى لا يشغل حقيقة وجوده وجود سواه.

إن الإدراك المطلق وجود كمالى لا يدرك فهو وحده المـــدرك لذاته بذاته وما يصل إدراك إلى إدراكه وذلك تطبيق للقاعدة العامة وهى أن الإدراك الأعلى هو الذى يدرك ذاته حسب مدى كماله، كما يشمل بإدراكه درجات الإدراك الأقـــل، من حيث أن الإدراك الأقل لا يسمو إلى أن يشمل بإدراكه إدراكا أسمى، منه لانخفاض

مدى سمو ذاته عن أن يدركه .

فالمادة تدرك ذاتها، ولكنها لا تدرك العقل ولا تدرى بوجوده، فى حين أن العقل يدرك ذاته حسب مدى كماله ، ويدرك المادة لأن إدراكه أسمى منها، ولما كان الإدراك المطلق هو منتهى كمال الإدراك وليس هنا لك إدراك يصل فى كماله إليه، وكان واحدا لا يتعدد ولا يتجزأ، فذاته وحدها هى التى تدرك ذاته، وما يصل إدراك إلى إدراك ذاته لأنها قد تعالت عن الإدراك .

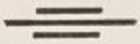

إمكانيات الوجود

(وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ)
(يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ)
(اللهِ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) سورة لقمان

إن كل درجة من درجات الإدراك عالم غير محدود الوجود ووجوده قائم بذاته مستقل بحقيقته ، فدرجة الادراك المادى هى العالم المادى الذى لا حدود لوجوده ، وكذلك أيضا درجتا الادراك النفسى والعقلى ، فكل منهما عالم عناصره تملأ الوجود ووجودها بلا حدود وكل عالم منها مستقل فى أساس وجوده وحقيقته عن العالمين الآخرين فلا تتقيد عناصر عالم بعناصر عالم آخر إلا إذا كان هنالك تجاذب وارتباط بين عناصرهما ينشأ عنه خضوعهما لنظام مشترك لقوانين وجودهما ، كما هو الأمر بالنسبة للتجاذب والارتباط بين عناصر العالمين العقلية والنفسية والمادية ، فإذا لم يكن هنالك تجاذب وارتباط ، استقلت عناصر كل عالم بحقيقة ذاتها عن العالمين الآخرين وإن كانت تشغل معها من الوجود مكانا واحدا .

ونخلص مما تقدم أن الوجود واحد ، ومع ذلك فهو مشتمل على عوالم مختلفة فى وجودها كل عالم منها يملأ الوجود ، ووجوده بلا حدود .

ويخلص مما تقدم أن الوجود واحد ومع ذلك فهو مشتمل على عالمين مختلفة فى وجودها، كل عالم منهما يملأ الوجود ووجوده بلا حدود.

* * *

إن أساس عالمنا المادى ذرات كروية الأشكال ، فهو عالم كروى النظام من ذراته إلى شموسه وكواكبه، ولما كان الشكل الكروى ليس هو الشكل الوحيد الذى نراه فى الوجود ، والذى يمكن أن تنشأ عل مقتضاه أساس درجة الإدراك المادى ، إذ أن هنالك أشكالا أخرى كثيرة كالمثلثات والمربعات والمستطيلات ، إلى غير ذلك من الأشكال التى يمكن أن تنشأ على مقتضاها أسس عالمين مادية مختلفة لا حصر لعددها ، كل عالم منها مستقل فى أساس وجوده عن العالمين الأخرى ، وإن كانت درجة إدراكها جميعا هى درجة الإدراك المادى ، وهذا يعنى أنه يمكن أن يكون بالوجود عالم مادى مربع النظام من ذراته إلى شموسه وكواكبه ،وكذلك يكون بالإمكان أن يكون بالوجود عالم مادى مثلث النظام من ذراته إلى شموسه وكواكبه.

وهكذا كلما اختلف أساس العالم كان بالإمكان أن يكون بالوجود عالمين مادية لا حصر لعددها ، كل عالم منها مستقل بذاته وحقيقة وجوده عن العالمين الأخرى وبذلك يستحيل أن تدرك عناصر عالم منها عناصر عالم آخر لاختلافهما فى أساس وجودهما رغم كونهما على درجة واحدة من الإدراك هى درجة الإدراك المادى ..

إن درجة الإدراك النفسى التى يتكون من انتظام عناصرها نفوس الخلائق عالم عناصره تملأ الوجود ، ووجودها بلا حدود ، وهى

تختلف فى أساس وجودها عن أساس درجة الإدراك المادى ،لذلك كانت النفوس والأجسام تأخذ من الوجود مكانا واحدا ، إلا أنه رغم اختلاف درجتى الإدراك النفسى والمادى فى أساس وجودهما ومدى إدراكيهما نجد أنه يحدث بين عناصر هاتين الدرجتين من الإدراك تجاذب وارتباط تنشأ به الحياة النفسية فى العالم المادى ، ولكى يتسنى حدوث تجاذب وارتباط بين عناصر درجتين مختلفتين من الإدراك ، لابد أن يكون هنا لك توافقا بين أساس وجودهما حتى يتسنى حدوث التجاذب والارتباط بينهما ، أى أنه لابد أن يكون أساس درجة الإدراك النفسى كروى النظام ، وقياسا على ما تقدم وهو أن الشكل الكروى ليس هو الشكل الوحيد الذى يمكن أن تنشأ على أساسه درجة الإدراك ، بل هنا لك أشكال أخرى كثيرة لا حصر لها ، يمكن أن تنشأ على أساسها عالمين مختلفة لا حصر لعددها ، ولو اتحدت درجة إدراكها ، لذلك يمكن أن يكون بالوجود عالمين ، نفسية مختلفة فى أساسها ، ومتحدة فى درجة إدراكها كل عالم نفسى منها لا يدرك للعالمين النفسية الأخرى وجودا لاختلاف أساس كل عالم عن أسس العالمين الآخرى ، وإن اتحدت جميعها فى درجة إدراكها ، كل عالم منها يتجاذب ويرتبط بالعالم المادى الذى يتوافق معه فى أساس وجوده ، وبذلك تنشأ الحياة النفسية فى العالمين ، المادية التى تتوافق معها فى أساس وجودها .

إن درجة الادراك العقلى عالم عناصره تملأ الوجود ،

ووجودها بلا حدود ، تنشأ عن انتظامها عقول الخلائق ،كما تنشأ الأجسام بانتظام عناصر العالم المادى ، وهى تختلف فى درجة إدراكها وأساس وجودها ، عن درجتى الادراك النفسى والمادى ، لذلك كانت العقول تأخذ مع النفوس والأجسام ، من الوجود مكانا واحدا ، ولولا تجاذب وارتباط هذه الدرجات الثلاث من الادراك لكانت عناصر كل عالم مستقلة بذاتها وحقيقة وجودها عن عناصر العالمين الأخريين ، ولكى يتسنى أن يكون هنالك تجاذب وارتباط بين عناصر هذه الدرجات المختلفة من الادراك ، لابد أن يكون أساس درجة الادراك العقلى كروى النظام ، حتى يتسنى حدوث تجاذب وارتباط بين عناصر هذه الدرجات الثلاث من الادراك ، وبذلك ظهرت الحياة العقلية فى العالم المادى عن طريق ارتباطها بعناصر درجة الادراك النفسى .

وقياسا على ما تقدم ، وهو أن الشكل الكروى ، ليس هو الشكل الوحيد الذى يمكن أن تنشأ على أساسه درجة الادراك ،كان بالامكان أن يكون بالوجود عالمين ، عقلية لا حصر لعددها ، كل عالم منها يختلف فى أساس وجوده عن أساس العالمين الآخرى ، وإن اتحد معها فى درجة إدراكها .

وبذلك لا يتسنى لعناصر عالم عقلى ، إدراك عناصر عالم عقلى آخر يختلف معه فى أساس وجوده ، وينشأ عن ذلك أن كل عالم عقلى يتجاذب ويرتبط مع العالمين ، النفسى والمادى ، الذى يتوافق معهما

فى أساس وجوده ، وبذلك تنشأ فى الوجود أنواع مختلفة من الخلائق ، لا حصر لعددها ، تشغل ذات الوجود الذى نشغله بوجودنا على غير علم منا ، ذلك لأن إمكانيات الوجود على استيعاب عالمين مختلفة لا حصر لعددها غير محدود .

ويخلص مما تقدم أن الوجود واحد . ومع ذلك فهو يشتمل على درجات مختلفة من الادراك ، بعضها أكمل من بعض ، كل درجة منها يمكن أن تنشأ عنها عالمين مختلفة فى أساس وجودها ، لاحصر لعددها وإن اتحد مدى إدراكها ، إذ كلما اختلف أساس العالم ، استقلت حقائقه عن العالمين الأخرى ، وإن اتحد معها فى درجة الادراك ، وهكذا تتعدد العالمين التى تنشأ عن كل درجة من درجات الإدراك ، كما تتعدد درجات الادراك التى بعضها أكمل من بعض ، إلى ما لا انتهاء له ، ذلك لأن الكمال هو غاية درجات الادراك ، وغاية الكمال أن يكون الادراك مطلقا ، والادراك المطلق يستحيل أن يكون إحدى درجات الادراك ، إذ أن ذاته قد تعالت عن الأشياء ، وانفردت وحدها بالكمال المطلق .

إن الوزن هو الفرق بين تجاذب الأشياء وتنافرها ، وخارج نطاق هذه العلاقة ، فليس للأشياء أى وزن ، لذلك كان الصفر المطلق هو الوزن الحقيقى لجميع ما فى الوجود من درجات الادراك .

مجرى النظام في الوجود

« وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » . سورة الرعد

* * *

« يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير » . سورة الحج

إن عناصر كل درجة من درجات الادراك تختلف نظمها وأشكالها وحالاتها بعضها عن بعض ، ومثل ذلك العالم المادى ، إذ تختلف حالات عناصره وأشكالها وصورها ، فقد تكون صلبة أو سائلة أو غازية ، أو مشعة كما نراها منتظمة إلى شموس وكواكب إلى غير ذلك من النظم والصور والحالات التى نرى عليها عناصر العالم المادى ، وكذلك تنتظم عناصر العالم النفسى ، وتختلف حالاتها وصورها وأشكالها ، كما نرى ذلك فى العناصر النفسية المرتبطة بالعالم المادى ، وإن كنا لا نرى أكثر حقائق وحالات ونظم العالم النفسى لانحجاب إدراكنا وراء طبيعة وقوانين العالم المادى ، وكذلك تختلف العقول بعضها عن بعض ، وبعضها أكمل من بعض .

إن كل درجة من درجات الادراك يشمل النظام عناصرها ، إلا أن النظام ليس قاصرا على عناصر كل درجة من درجات الادراك على حده ، إذ أن النظام يجرى بين الدرجات المختلفة من الادراك ، مما ينشأ عنه ظهور آثار طبيعة كل درجة من درجات الادراك ، فى الدرجات الأخرى ، التى ترتبط بها ، كما تظهر آثار طبيعة الحياتين ، العقلية والنفسية ، فى العالم المادى ، ولذلك خضعت درجات الادراك لنظام مشترك لقوانين وجودها .

إن النظام يجرى بين درجات الادراك التى يتقارب مدى كمالها فإذا عظم الفرق بين مدى الادراك استحال أن ينشأ ارتباط مباشر بينهما ،

كما هو الأمر بالنسبة للعقل والمادة إذ يستحيل نشوء تجاذب وارتباط مباشر بينهما لعظم الفرق بين مدى كمال الدرجتين ، لذلك كان ارتباطهما بعناصر درجة الإدراك النفسى هو الذى أجرى النظام بين عناصر هذه الدرجات الثلاث من الإدراك ، وبذلك ظهرت آثار الحياة العقلية فى العالم المادى ، فالحياة النفسية هى سبيل الحياة العقلية إلى العالم المادى ، ذلك لأن النفس إدراك وسط بين المادة والعقل .

* * *

إن النبات لا بد أن يسبق فى وجوده وجود الحيوان ، لأن وجود النباتات هو أساس وجود الحيوانات على الأرض فهو من المقومات الأساسية لحياتها إذ يستحيل أن تنشأ الحياة الحيوانية فى العالم المادى ، إذا كانت الأرض جرداء قاحلة من أى نوع من أنواع النباتات ، فالنبات هو سبيل الحيوان إلى العالم المادى ، ولما كان وجود الحيوان ناشىء عن مجرى النظام بين ثلاث درجات من الإدراك هى درجات الإدراك العقلى والنفسى والمادى أمكننا أن نقول أن الحياة النباتية ناشئة عن ارتباط عناصر درجتى الإدراك النفسى والمادى وحدهما يؤيد ذلك أن النباتات تخضع لنظم خاصة تغاير النظم الأساسية التى تجرى عليها طبيعة العالم المادى كما أننا لا نجد النبات بين عناصر المادة كما نجد الرمال بها واكثر من ذلك أن للنباتات نوع خاص من الحياة تتقيد بها طبيعتها كما تتقيد بأنواع معينة من الغذاء كما يحتاج إلى جو طبيعى خاص يختلف باختلاف أنواعه وفضلا عن ذلك فلكل نوع من النباتات شكله الخاص وأكله الذى يتميز به رغم كونها تسقى بماء واحد وما ذلك إلا لأن للنباتات القدرة على التميز

الذاتى بين العناصر المادية التى تتغذى عليها فتأخذ منها ما يتوافق مع طبيعة حياتها وتترك ما عداها ولولا ذلك لاتحدت النباتات شكلا ووجودا ومذاقا فعناصر المادة قد انتظمت إلى نظم خاصة تختلف باختلاف أنواع النباتات وما يكون لها ذلك إلا نتيجة تداخل عناصر وجود آخر هو الذى قيد مجرى النظام المادى للنباتات فى وجوده وشكله ومذاقه ولذا اختلفت نظم وحقائق الحياة النباتية عن الحقائق والنظم الأساسية للعناصر المادية .

إن ظهور الحياة النباتية فى العالم المادى ، لأول مرة يكون فجأة بتجاذب وارتباط مباشر بين عناصر درجتى الإدراك النفسى والمادى عندما تتوافق طبيعتهما ، ومتى تم الإرتباط بين عناصر هذين العالمين كمنت الحياة النفسية فى العالم المادى فى بذور تنتجها النباتات ، ويظل الارتباط بين هذين العالمين قائما طالما كان ذلك ممكنا حسب طبيعتى وجودهما .

إن ظهور الحياة العقلية فى العالم المادى ، يكون عن طريق ارتباطهما بعناصر العالم النفسى ، فمن العناصر النفسية ، ما يرتبط ارتباطا مباشرا بالعناصر المادية ، وهو ما ينشأ عنه وجود النباتات ومنها ما يرتبط ارتباطا مباشرا بالعناصر العقلية مكونا نفوس المخلوقات وبحدوث اتحاد بين هذين النوعين من العناصر النفسية يتم الإرتباط بين هذه الدرجات الثلاث من الإدراك فتتحول العناصر المادية بفعل النفس فجأة إلى أجسام تجرى فى فلك النظام النفسى المرتبط بوجود عقلى وهكذا يتدرج ظهور الحياة العقلية على الأرض حسب مدى توافق

عناصر درجات الادراك حتى تتم بظهور الحياة الانسانية وعن طريق تناسل الخلائق تنشأ أجسام أخرى جديدة ينشأ بنشوئها خلق جديد من نوع الأجسام الأولى ولا يكون هنالك حاجة لكى تنشأ الأجسام بطريق التحول المباشر للعناصر النباتية نتيجة حدوث اتحاد بين العناصر النفسية .

إن تناسل المخلوقات يكون بانفصال أشيـــاء مادية من أجسام المخلوقات مرتبطة باشياء نفسية من نفوسها تتجاذب معها وتتحد بها نفوس من درجتها فينشأ عن ذلك أن تجرى المادة فى فلك الوجود النفسى للمخلوق وبذلك تتكون أجسام الخلائق التى تأخذ النظام والشكل والصورة التى تكون عليها النفس الأصلية وهكذا يجرى النظام مباشرة بين الدرجات المختلفة من الإدراك فتضفى الدرجات العليا من سمو وكمال ذاتها ما يجعل الدرجات الأقل منها بديعة النظام سامية الحياة بظهور آثار طبيعتها فى طبيعة درجات الإدراك الأقل ومثل ذلك ارتباط عناصر العالم النفسى بعناصر العالم المادى أضفى عليه سموا وكمالا وجمالا وجعل به جنات بها من كل زوج بهيج بدلا من أن يكون قاحلا من كل الثمرات وكذلك ارتباط عناصر درجة الإدراك العقلى بعناصر درجتى الإدراك النفسى والمادى أن سمت طبيعة وجودهما بما أضفى عليها العقل من بهجة الإدراك الواعى وجمال الرؤيا وجعلها يفيضان بالحياة والحركة والنشاط ولولاه لكانت الحياة فيهما ميتة خالية من بهجة الادراك الذى يعى ويرى .

إن الأماكن التى تطيب فيها حياة الخلائق هى الأماكن التى تتوافق

فيها عناصر درجات الادراك فينشأ بينها التجاذب والارتباط فتظهر آثار طبيعة كل وجود فى الوجود الآخر الذى يرتبط به لذلك كانت الحياه النباتية لا تنشأ فى السماء لعدم توافق طبيعـــة العالمين النفسى والمادى فى هذه الأماكن وكذلك لا تنشأ الحياه النباتية على الأرض فى الأماكن المقفرة من الماء لتعارض ذلك مع طبيعة الحياة النفسية فى العالم المادى ، وكذلك الأمر بالنسبة لنشوء الحياة العقلية فنشوء الحيوان لا يكون إلا بعد نشوء النباتات فى العالم المادى لا ستحاله ارتباط وجوده النفسى مباشرة بالمادة بغير أن تتحد نفسه بأشياء نفسية تكون مرتبطة ارتباطا مباشرا بعناصر العالم المادى كالنباتات لذلك كانت الحياة الحيوانية لا تبدأ نشأتها مباشرة فى أرض مقفرة من النباتات لانعدام مقومات نشوئها وبقائها وكذلك لا ترتبط نفوس الخلائق بعناصر العالم المادى وهى فى السماء لعدم وجود أشياء نفسية مرتبطة ارتباطا مباشرا بعناصر العالم المادى تتحد بها نفوس الخلائق وتأتى عن طريقها إليه وفضلا عن ذلك فإن نشوء الجسم المادى للمخلوق وهو فى السماء فضلا عن استحالته يؤدى إلى سقوط الخلائق على الأرض وموتها بمجرد نشوئها فنشوء الحياة يكون فى الأماكن التى تتوافق فيها طبيعـــة درجات الإدراك التى يترتب عليه حدوث التجاذب والإرتباط بينها حيث فيها تطيب حياة المخلوق .

إن كل نوع من المخلوقات تتوافق طبيعة نفسه مع طبيعة معينة من الحياة المادية ومع أنواع معينة من النباتات ولذلك اختلفت طبيعة الحياة التى يحياها كل مخلوق فمنها ما يحيا تحت الماء ومنها ما يحيا فوق

الأشجار ومنها ما يحيا فى الوديان ، ولذلك كانت النظم النفسية المختلفة تتوافق تماماً فى وجودها وأشكالها ونظمها ، مع طبيعة الحياة المادية التى تحياها كل نفس ، فنفوس الخلائق التى تحيا فى الماء تختلف طبيعة ونظاماً وشكلا عن تلك التى تحيا فى الوديان ، فكل وجود نفسى تتوافق طبيعته ونظامه وشكله ، مع طبيعة الحياة المادية ، التى يحياها ، وكان كل نظام نفسى يتوافق أجزاءه مع بعضها ، فليس هنالك اختلاف أو تعارض بين أجزاء النظام النفسى الواحد ، إذ لا يصح أن يكون الجسم جسم إنسان ، والرأس رأس حصان ، كما أن العكس لا يصح أن يكون ، إذ ينعدم التوافق بين رأس الإنسان وجسم الحصان ، كما أن ذلك يتعارض مع طبيعة الحياة التى يحياها المخلوق ، وكذلك الأمر بالنسبة لجميع المخلوقات ، فكل نظام نفسى تتوافق طبيعته مع طبيعة الحياة التى يحياها ، كما تتلائم أجزاؤه مع بعضها ، فلا يكون بينها تعارض ، أو اختلاف .

إن ارتباط هذه الدرجات الثلاث من الإدراك ، استلزم أن يكون نظام المخلوق محتوياً على أجهزة ، للرؤيا ، والسمع ، والشم والتنفس ، والهضم ، والتناسل ، إلى غير ذلك من مستلزمات الحياة النفسية فى العالم المادى ، وفضلا عن ذلك كانت النفس مفرغة ، ومتجاذبة ، تجاذبا طبيعيا مع المادة ، مما ينشأ عنه شعور المخلوق بالجوع والعطش ، فيعمل على أن يملأ فراغ نفسه بما يتعادل معها من العناصر الماديه ، فإذا كانت النفس مكونة من عناصر لا تقبل طبيعتها

التجاذب والارتباط ، بعناصر العالم المادى ، كانت طبيعتها ونظمها وأشكالها تختلف عن طبيعة ونظم وأشكال النفوس التى نراها فى العالم المادى ، ذلك أن كل نفس تتوافق مع طبيعة الحياة التى تحياها فى الوجود ، لذلك كانت حياة الخلائق الناشئة عن تجاذب وارتباط عناصر درجتى الإدراك العقلى والنفسى وحدها ، لا تخضع لما نخضع له نحن من قواعد ونظم الحياة المادية ، وهذا النوع من الخلائق هو الذى تسميه الأديان بالملائكة ،

إن كل ما بين الناس والملائكة من فرق ، إنما هو فى أن الناس يلبسون من المادة جسما ، يخضعون لطبيعته وقوانينه ، ولو قدر للملائكة أن تحيا معنا على الأرض ، لوجب أن يكون لها أجسام مادية من ترابها ، تحيا بها بين الناس ، وأن تكون نفوسها مختلفة إلى جنسين ، ذكورا وإناثا .

إن التجاذب والارتباط بين عناصر درجتى الإدراك النفسى والمادى ، لا يكون على حالة واحدة ، ذلك لأن الحالات المختلفة التى تكون عليها عناصر هاتين الدرجتين من الإدراك كثيرة لذلك تتنوع أجسام الخلائق ، كما تتنوع نفوسها ، فكما أن هنالك نفوساً لا نراها ، فكذلك أيضاً هنالك أجسام لا ندركها لاختلاف حالة وجودها عن حالة وجودنا ، ومنها ما تسميه الأديان بالجن ، فالجن نوع من المخلوقات ناشىء عن مجرى النظام بين درجات الإدراك العقلى والنفسى والمادى ، وإن كانت

أجسامها تختلف حالة وجودها عن حالة وجودنا ، بما لا يتيسر لنا إدراكها .

* * *

إن مجرى النظام بين هذه الدرجات الثلاث ، من الإدراك يكون على غير علم منها ، لأن عناصرها ليست من إدراك يعى ويرى ، ولأن عناصر الإدراك العقلى يكون منحجباً بطبيعة هذه الدرجات غير الواعية من الإدراك ، وهذا فضلا عن صغر وجوده بما لا يتيسر له إدراك كثير من حقائق الوجود ، لذلك استحال علينا إدراك ورؤيا حقائق وجودنا ، ومجرى نظامنا بين الدرجات المختلفة من الإدراك ، فإذا وصل العقل إلى درجة معينة من الكمال ، فهو يبدأ تدريجياً فى إدراك مجرى النظام ، بين درجات الإدراك ، وإن كان لا يرى حقائق الوجود ومجرى النظام بين عناصره إلا إذا انكشفت عن ذاته ارتباطها بدرجات الإدراك غير الواعية .

إن نفس الإنسان ، الأول اكتمل وجودها بعيدا عن العالم المادى الذى كان خاليا من نوع الإنسان ، وكانت حياته نفسية خالصة وكان يملأ فراغ نفسه بعناصر درجة الإدراك النفسى ، غير المرتبطة بعناصر المادة ، إلا أن ذلك لم يكن يشبع رغبته لاحتواء نفسه على أشياء تتجاذب طبيعتها مع طبيعة الأشياء المادية ، فكان يرى فى الأشياء النفسية المرتبطة بالمادة ، وهى النباتات ، ما يشبع رغبته ، إلا أنه تردد خوفا من أن يتقيد وجوده بعناصر العالم المادى ، إلا أن

رغبته طغت عليه ، فأكل منها ، وارتبطت نفسه عن طريقها بعناصر العالم المادى ، فجرت المادة فى فلك وجوده النفسى ، وصار له جسما مادياً يحيا به ، ويتقيد بطبيعته وقوانينه ، وهكذا بدأ نشوء الحياة على الأرض بكافة صورها وأشكالها على غير علم من العقول ، إلا عقل الإنسان الذى كان بإمكانه التفرقة بين الحياتين ، النفسية والمادية لذلك كان ارتباط نفس الإنسان الأول بالعالم المادى ، مشمولا بإدراك عقله ، كما كان مشمولا بإدراك العقول الأخرى ، التى من درجته ، والتى تفوقه سموا وكمالا ، فأدركت ما اتجهت إليه رغبته ، وما أصابه من خوف وتردد ، فنظرت إليه لترى ما سوف يحدث لوجوده ، وكيف يتم ارتباط نفسه بعناصر المادة ، وكيف يكون له جسما مادياً ، يتقيد بطبيعته وقوانينه .

إن النظام إذا كان يجرى بين درجات واعية ، ترى من الإدراك لشمل الإدراك ذاته بإدراكه ورؤياه ، وشمل بعلمه حقيقة وجوده وكيف يجرى نظامه فى الوجود ، وكيف يجرى النظام بين درجات الإدراك ، ومثل ذلك ، إذا كان الجسم مكوناً من عناصر كلها تعى وترى ذاتها بذاتها ، وكذلك النفس إذا كان وجودها مكوناً من عناصر تعى وترى ذاتها بذاتها ، ولكن بدرجة أكمل ، وكذلك العقل يكون مكوناً من عناصر تعى وترى ذاتها بذاتها ، بدرجة أكثر كمالا لنشأ عن دلك أن الجسم يدرك ذاته بذاته ، ويعى ويرى حقائق وجوده ، ومجرى نظامه فى الوجود ، وكذلك النفس ولكن بدرجة

أكمل كما تشمل بإدراكها ورؤياها حقائق ، ومجرى نظام الوجود المادى ، وكيف يجرى النظام بينها وبينه ، وكذلك الأمر بالنسبة للعقل ، ولكن بدرجة أكثر كمالا ، فيدرك ويرى ذاته بذاته ، ومجرى نظامه فى الوجود ، كما يشمل بإدراكه ورؤياه حقائق درجتى الإدراك النفسى والمادى ، ومجرى النظام بينه وبينها ، وبذلك تشمل عناصر درجات الإدراك ذاتها بإدراكها ورؤياها حسب مدى كمال طبيعة كل منها ، وبذلك يدرك المخلوق ذاته بذاته ، ومجرى نظامه فى الوجود ، فيدرك الماضى والحاضر والمستقبل ، إدراكا حقيقيا مباشرا ، مستمدا من طبيعة ذاته السامية الإدراك ، ولن يكون ذلك إلا إذا خرج مجرى نظام المخلوقات من الظلمات إلى النور من درجات الإدراك الدنيا إلى درجات الإدراك العليا بأن يجرى النظام بين درجات إدراك عناصرها تعى وترى ذاتها بذاتها .

. . .

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) .

« سورة البقرة »

النظام المادى

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » سورة الروم

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » سورة المؤمنون

إن أجسام الخلائق تنشأ من العناصر المادية فأجسام الناس والدواب خلقت من طين ، ثم من نطفة من ماء مهين ، إلى أن يصير المخلوق طفلا ، ثم يستوى خلقا خلقا كاملا ، فنشوء الأجسام يكون من العناصر المادية ، التى تتناولها الخلائق ، عن طريق الطعام فتنتظم به الأجسام ، ويكبر وجودها ، وبه تنشأ أجسام أخرى جديدة عن طريق التناسل ، وبدونه ينهدم الجسم ، ويفقد الحياة ، وينحل ما به من عناصر المادة التى تعود إلى الأرض من حيث أتت فجسم المخلوق إذا فقد الحياة لأى سبب ، فقدت المادة اعتبارها جسما

مكونا لذاته المادية وتنحل عناصرها وتعود إلى التراب كما كانت أول مرة .

إن الجسم سريع النشوء سريع الانهدام لذلك كان المخلوق فى حاجة شديدة إلى الطعام ليعوض به ما يفقده الجسم من عناصر المادة فلو كانت الأجسام بطيئة التحلل والانفكاك كانت حاجة المخلوق إلى الطعام قليلة قد تصل إلى أن أكلة واحدة تكون كافية لكى يحيا بها الجسم بضع سنين فحسب مدى ثبات عناصر الجسم تكون مدى الحاجة إلى الطعام فالجسم يعوض ما يفقده من عناصر المادة أثناء فترة حياته فيستبدل عناصر جديدة بدل العناصر التى تخرج عن نطاق وجوده وينبنى على ذلك أن كل ما ينتظم من عناصر المادة ويدخل فى نطاق الجسم يعتبر ذاتها للمخلوق وكل ما يخرج عن نطاق الجسم يفقد اعتباره ذاتا له فجسم المخلوق ليس ذات الأشياء المادية ولكنه ناتج عن مجرى نظام هذه الأشياء فكل ما يدخل فى نطاق الجسم كان منشئا لحياة المخلوق ومكونا لحقيقة جسمه وكل ما خرج عن نطاق الجسم يفقد اعتباره ذاتا له إذ أن خروج المادة عن نطاق الجسم تفقد اعتبار كونها منشئة لحقيقته .

إن المخلوق ليس له ذاتا ثابتة وإلا لما كان فى حاجة إلى الطعام إذ أن ثبات الذات يقتضى ألا يضاف إلى وجودها شىء وأن لا ينقص شىء من وجودها وهذا بعكس الجسم حيث تدخل اليه عناصر جديدة وتنفك عنه تلك التى كانت فيه والتى كانت مكونة لحقيقته وفضلا عن ذلك فإن المخلوق يفقد جسمه بالموت فتفقد المادة نظامها وتعود عناصرها

ترابا كما كانت ويختفى منها كل أثر للحياة المدركة التى تعى وترى وبذلك تكون المادة قد فقدت اعتبارها ذاتا للمخلوق فالمخلوق لا يملك ذات جسمه إذ أنه نظام مؤقت للعناصر المادية تنشأ عنه وجود ذات مؤقتة له سرعان ماينفك انتظامها فيفقد المخلوق جسمه وتعود عناصره إلى التراب من حيث أتت ومن التراب تنتظم أجسام مادية جديدة ينشأ بنشوئها خلق جديد فنظام مادى ينشأ فتنشأ الحياة بنشوئه فى هذا العالم ونظام مادى ينفك وبانفكاكه تنحل العناصر المادية وتندمج فى الطبيعة التى منها انتظمت وتكون كسائر ما على الأرض من المادة فمن الأرض خلقت الأجسام وإليها تعود ومنها تخرج تارة أخرى وهكذا تنشأ الخلائق بنشوء النظم وتنتهى بانفكاكها وما ينتهى انتظام عناصر العالم المادى المنشىء لوجود الخلائق فكلما انفك نظام قام بانقاضه نظام جديد ينشأ بنشوئه خلق جديد وهكذا من غير انتهاء وما تزيد الأرض بزيادة عدد الخلائق وما تنقص بنقصها فمادة الأرض التى يتكون من انتظام عناصرها أجسام الناس والدواب واحدة سواء انتظم وجودها كأجسام أم بقيت ترابا على حالها فأجسام الأولين والآخرين السابقين واللاحقين نشأت وتنشأ من الأرض وإليها تعود.

« وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُم فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا)

سورة نوح

مدى كمال النظام المادى

إن النظام المادى الذى تنشا بنشوئه الأجسام نظام غير كمالى إذ تختلف أعمار الخلائق بعضها عن بعض ولو اتحدت أنوعها فبعض

الخلائق يعيش فترة قصيرة وسرعان ما ينفك نظامها فيفقد المخلوق جسمه وبعض الخلائق التى من نوعها تعمر فى الأرض إلى أرذل العمر حتى تهرم ويصبح جسمها هشيما ثم ينفك نظامها المادى وتنتهى حياتها فكل مخلوق له عمر خاص لا يتقيد بأعمار الخلائق الأخرى وذلك لأن كل نظام مادى مستقل بذاته عن النظم الأخرى .

إن الأجسام لا تأخذ نظاما واحدا فهى تأخذ نظما وأشكالا مختلفة وصورا متعددة بعضها أكمل من بعض فالنظام المادى للمخلوق يختلف حسب نوعه فكلما سمى النظام المادى كانت حياة المخلوق سامية حتى يصل الجسم إلى أسمى نظام له فى الوجود وهو أن يكون الجسم جسما للإنسان ولذلك كانت حياة الإنسان هى أسمى حياة على الأرض وكان نظامه المادى هو أسمى نظام يمكن أن تأخذه عناصر المادة مكونة للمخلوق جسما ماديا .

النظام النفسي

« اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »

« خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ » سورة الزمر

إن النفس تصور المادة فى الأرحام فتجرى المادة فى ذلك الوجود النفسى وتأخذ نظامه وصورته وجنسه وتتقيد بوجوده فالنفس هى مصدر نظام المخلوق وشكله وصورته وجنسه كما أنها مصدر شعوره وإحساسه فالأجسام إنما هى نظم وأشكال وصور مادية للوجود النفسى ولذلك كان كمال النظام المادى مبناه كمال النظام النفسى ومن ذلك يتبين لنا أن النفوس مختلفة وأن بعضها أكمل من بعض فى نظمها وأشكالها وصورها وطبيعة وجودها كما تنطق بذلك الأجسام حتى تصل النفس إلى أكمل نظام وشكل لوجودها فى العالم المادى وهى

نفس الإنسان وما عداها من نفوس فهى متدرجة فى بساطة كمالها حتى تصل إلى أبسط وجود نفسى نراه فى الوجود بحيث يكون النظام النفسى فى منتهى بساطته فلا تتميز أجزاؤه ولا تتخصص طبيعته فنفوس الخلائق مختلفة بعضها أكمل من بعض إلى أن تصل النفس إلى منتهى سموها وكمالها فى العالم المادى وهى نفس الإنسان .

مجرى النظام النفسى فى الوجود

(فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) سورة الشورى

إن نفوس الخلائق تخضع فى وجودها لقواعد ثلاثة

القاعدة الأولى

أن النفوس تسمو ويعظم وجودها كلما عظمت فترة حياتها .

القاعدة الثانية

أن جميع النفوس التى نراها على الأرض والتى تتميز أجزاؤها وتتخصص طبيعتها يجرى وجودها عل نظام أساس واحد .

القاعدة الثالثة

أن النفوس يتغير نظامها وشكلها كلما عظمت فترة حياتها حسب مدى ما وصلت إليه النفس من كمال .

القاعدة الأولى

أن النفوس تسمو ويعظم وجودها كلما عظمت فترة حياتها .

إن الإنسان تكون نفسه صغيرة عندما يكون طفلا فاذا تقدمت حياته عظمت نفسه وكمل وجودها حتى يصير إنسانا كاملا وكذلك الأمر بالنسبة للحيوان فنفسه تكون صغيرة عندما يكون صغيرا ثم تعظم تدريجيا كلما عظمت فترة حياته حتى يستوى حيوانا كاملا وينتج عن ذلك اختلاف الأسماء بالنسبة للحالة التى تكون عليها النفس حسب فترة حياتها كالطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة وكذلك اختلفت أسماء الحيوان تبعا للحالة التى تكون عليها نفسه حسب فترة حياتها من حمل إلى كبش ومن مهر إلى حصان ومن شبل إلى أسد فكلما اختلفت فترة حياة المخلوق اختلفت الأسماء حسب ما وصل إليه وجوده النفسى .

إن العبرة فى مدى كمال الوجود النفسى ليس بكبر الأجسام ولكن بمقدار ما تحتوى عليه النفس من العناصر النفسية ومدى سمو وكمال طبيعتها وذلك بعد حذف ما بالوجود النفسى من فراغات وتمدد فنفس الإنسان وهو صغير أسمى وأكمل من نفس الحيوان وهو كبير فالعبرة إنما تكون بحقيقة الوجود النفسى ومدى كمال طبيعته .

القاعدة الثانية

أن جميع النفوس التى نراها على الأرض والتى تتميز أجزاؤها وتتخصص طبيعتها يجرى وجودها على نظام اساسى واحد .

إن النظام الأساسى العام الذى تجرى عليه النفوس بعضه من بعض و بعضه أكمل من بعض فكل ما بين النفوس من فرق إنما هو فى مدى كمال نفس عن أخرى وفى مدى كمال نظام نفسى عن آخر فالنفوس مهما اختلفت أشكالها ونظمها حسب مدى كمالها تكاد تتحد فى أساسها فجميع النفوس لها رأس واحد فما نرى مخلوقا وله رأسين أو رؤوسا متعددة متفرقة فى أنحاء وجوده كما نجد الرأس يقع فى مقدمة وجود المخلوق لا فى وسطه ولا فى مؤخرته كما نجد أن نظام وجوده يكاد يكون واحدا فيكون الصدر ثم يليه البطن كما أن أعضاءه تكاد تكون واحدة فى عددها وإن اختلفت اشكالها وتحورت صورها وفضلا عن ذلك فإنها تأخذ ذات الأماكن التى تأخذها بالنسبة للنفوس الأخرى فنحن لا نرى مخلوقا وتخرج أطرافه من رأسه فاليدين والقدمين يليان فى وجودهما وجود الرأس فلا تخرجان منه . فالنظام العام لجميع النفوس يكاد يكون واحدا وإن اختلف مدى كمال نفس عن أخرى . إن رأس كل مخلوق هى مركز حواسه حيث البصر والسمع والشم والفم فما نراها متفرقة فى أنحاء وجوده كما أن هذه الحواس تأخذ نظاما وأماكن من الرأس لا تكاد تختلف من مخلوق إلى آخر فنرى جبهة المخلوق ثم عينيه ثم أنفه فما نرى الأنف تعلو العينين وما نرى العينين مكان الخدين وما نرى الأذنين مكان العينين فالاوضاع الاساسية لنظام الحواس لا يكاد يختلف من نفس لأخرى فهى تأخذ نظاما أساسيا واحدا وإن اختلف مدى كمال هذا النظام حسب مدى كمال الوجود النفسى للمخلوق .

إن نفوس الخلائق تتقارب فى نظمهـــا وأشكالها وصورها كلما تقاربت درجات كمالها وتتباعد كلما عظم الفرق فى درجة كمال نفس عن أخرى فنفس الإنسان كنفس الحيوان من حيث أنهما يجريان على نظام أساس واحد وكل ما بين النظامين من فرق إنما هو فى مدى كمال نظام نفس الإنسان عن نظام نفس الحيوان إذ أن النفس كلما عظم كمالها سمى نظامها وشكلها وجملت صورتها وسمت الحياة التى تحياها وكلما انخفضت درجة كمال النفس تبع ذلك انخفاض مدى كمال نظامها وصورتها وتنخفض كذلك درجة سمو الحياة التى تحياها .

إن أكمل نظام نفسى فى هذا العالم هى نفس الإنسان وما نرى نفسا أكمل من نفسه وذلك لأن جسم الإنسان هو أكمل نظام مادى يمكن أن تأخذه المادة التى تجرى فى فلك الوجود النفسى والتى هى صورة مادية لحقيقة وجوده .

ويخلص مما تقدم أن جميع النفوس التى نراها على الأرض وإن اختلفت نظمها وصورها حسب درجة كمالها تجرى على نظام أساسى واحد بعضه من بعض وبعضه أكمـــل من بعض حسب مدى سمو وكمال الوجود النفسى ويتبع كمال النظام النفسى كمال النظام المادى لأن الجسم هو صورة مادية نستطيع أن نتبين منها مدى كمال نفس عن أخرى عندما يكون هنالك إختلاف بين أنواع الخلائق فالنظام الأساسى لجميع النفوس واحد وإن اختلفت نظمها وصورها حسب مدى كمال الوجود النفسى .

القاعدة الثالثة

إن النفوس يتغير نظامها وشكلها وصـــورها كلما عظمت فترة حياتها حسب مدى ما وصلت إليه النفس من كمال .

إن الإنسان وهو صغير يكون طفلا نظاما وشكلا وصورة فإذا صار شابا عظمت نفسه وتغير شكله وصورته وصار إنسانا كاملا فإذا تقدمت به السن صار شيخا هرما إذ تتغير طبيعة نفسه وشكلها وصورتها وصار جسم المخلوق هشيما وكذلك أيضا الحمل وهو صغير تكون نفسه نفس حمل نظاما وشكلا وصـــورة فإذا عظمت حياته عظمت نفسه وتغير شكلها وصورتها وصار كبشا وهكذا تتغير طبيعة النفس وشكلها وصورتها تدريجيا فى نطاق النظام الأساسى العام الذى يجرى عليه وجودها .

فالقاعدة أن النفوس دائمة التغير إذ تتغير طبيعتها وأشكالها وصورها حسب فترة حياتها ويتبع تغير شكل النفس تغير شكل الجسم وصورته ليكون متوافقا مع النفس نظاما وشكلا وصورة فى نطاق ما تسمح به طبيعة المادة ذلك لأن التوافق بين عناصر النفس وعناصر الجسم ليس توافقا تاما ولذلك كانت المخلوقات عندما تتقدم بها السن يصيبها الهرم لعدم التوافق التام بين نفوسها وأجسامها مما يترتب عليه الاخلال بالتجاذب والارتباط القائم بينهما مما ينشأ عنه حصول انفكاك بين النفس والجسم عندما يبلغ عدم التوافق بينهما منتهاه وهو ما نسميه موتا .

إن هنالك بعض الأجسام المادية التى يمكـــن أن يتغير نظامها وشكلها وصورتها حسب تغير النظـــام النفسى رغم عظم الفرق بين النظامين والشكلين الذى تحولت بينهما النفس فيأخذ الجسم النظام والشكل الجديد الذى صارت إليـــه النفس ومثل ذلك دودة القز ودودة القطن فالدودة يتغير نظامها وشكلها وصورتها من دودة تزحف على بطنها إلى فراشة تطير بأجنحتها وفرق عظيم بين الشكلين الذى تحولت بينهما النفس والذى تحول إليه الجسم فالنظام المادى قد تغير تبعا لتغير النظام النفسى ولم يترتب عـــل هذا التغيير فك التجاذب والارتباط بين النفس والجسم وذلك لأن الدودة جسمها لين وخال من العظام فتغير شكل النفس تبعه تغير شكل الجسم فى سهولة ويسر دون إخلال بالتجاذب والارتباط القائم بينهما وقياسا على ذلك إذا كانت الدودة تصير فراشة كان ذلك مثل أن نقول أن السمكة تصير طائرا وكل ما بينهما من فرق أن السمكة جسمها صلب ويحتوى على عظام فأى تغيير جوهرى فى شكل النفس يؤدى إلى الإخلال بالتجاذب والارتباط بينها وبين الجسم مما ينشأ عنه حصول إنفكاك بينهما وبذلك يفقد المخلوق جسمه وتستقل النفس بذاتها ثم تعود إلى الارتباط بالمادة مرة أخرى عن طريق التناسل مكونة جسما ماديا جديدا له الشكل الجديد الذى صارت إليه النفس وبذلك تتغير الأجسام التى ترتبط بها النفس كل حين فتأخذ النفس أجساما مختلفة لها النظم والأشكال الجديدة التى تكون عليها حسب مدى كمالها حتى تصل النفس إلى أسمى وأكمل نظام لوجودها فى العالم المادى بأن تكون نفسا للإنسان

ويكون الجسم جسم إنسان وكل ذلك ناتج عن تطبيق القواعد الثلاث السابقة وهى أن النفوس تسمو ويعظم وجودها كلما عظمت فترة حياتها وأن وجودها يجرى على نظام أساسى واحد بعضه من بعض وبعضه أكمل من بعض يتغير خلاله نظامها وشكلها وصورتها حسب مدى ما وصلت إليه النفس من كمال .

ويخلص مما تقدم أن النفوس الصغرى هى مصدر النفوس العليا وأن النفوس العليا كانت فى الماضى نفوسا صغرى سمى وجودها ونظامها وشكلها وصورتها نحو الكمال .

مدى كمال النظام النفسى

إن النظام النفسى للمخلوق أسمى وجودا وأكمل نظاما من طبيعة ونظام المادة المكونة لأجسام الخلائق فالنفس سامية الوجود بطيئة التغير كمالية النظام إذ تسمو النفس ويعظم وجودها ويكمل نظامها مباشرة دون أن تنهدم حتى يصل النظام النفسى إلى منتهى كماله وهذا بعكس النظام المادى الذى ينهدم كل حين إذ أنه سريع النشوء سريع التغير سريع الانهدام على عكس النظام النفسى الذى تنشأ عنه ذات للمخلوق أعظم ثباتا من الأجسام فلو كان النظام المادى نظاما غير سريع التغير والانهدام وكانت طبيعته متوافقة تماما مع طبيعة النظام النفسى لما شاخت الأجسام ولما انفك نظامها حتى يبلغ النظام المادى منتهى كماله فى الوجود وبعدها تبدأ فى الانفكاك تدريجيا وببطء شديد وذلك لثباته وبطء تغيره إلا أن الأجسام على عكس ذلك

سريعة الانتظام سريعة التغيير والانحلال لا تتوافق طبيعتها تماما ومجرى النظام النفسى لذلك كانت الأجسام تنهدم كل حين نتيجة تعارض النظامين المادى والنفسى أو نتيجة فساد طبيعة الأجسام كما يحدث ذلك بالأمراض والحوادث .

إن عدم كمال النظام المادى له أثره فى مجرى النظام النفسى إذ يترتب عليه اختلاف الفترات التى يمكثها كل مخلوق فى العالم المادى فبعض المخلوقات تمكث فترات طويلة لأنها تحيا بأجسامها المادية أعمارا مديدة وبعضها تمكث فترات أقل لقصر أعمارها مما يترتب عليه سرعة كمال نفوس عن أخرى قد يكون نظامها سابقا عليها فى الوجود وبذلك تسمو نفوس مخلوقات ويتأخر سمو نفوس أخرى ولو كانت سابقة عليها فى بدء نظامها مما ينشأ عنه كمال بعض المخلوقات وبطء كمال البعض الآخر دون أن تتقيد الخلائق فى ذلك بحقيقته مدى سمو وجودها العقلى ولا بفترة حياة وجودها النفسى وبذلك يتقيد مدى ظهور العقول بمدى كمال نظامى وجودها النفسى والمادى حتى إذا اجتازت الخلائق فترة الحياة المادية والدرجات النفسية التى تليها ظهرت حقائق مدى كمال العقول بعضها عن بعض حسب مدى كبر وجودها العقلى بعد أن يتكيف النظام النفسى للمخلوق حسب نظامه العقلى .

إن نفس الإنسان رغم كونها أكمل نظام نفسى نراه إلا أنها ليست أسمى نظام نفسى فى الوجود فالإنسان لا يرى إلا من جهة واحدة لا من جهتين ولا من جهات متعددة ولا يتكلم فى موضوعات مختلفة

لأشخاص مختلفين فى وقت واحد وفضلا عن ذلك فإن طبيعة النفوس ما زالت غير سامية إذ قد ملأت بغضا وحقدا وأنانية وحسدا فالنفس لم تبلغ بعد منتهى كمال نظامها ولا منتهى سمو طبيعتها فى الوجود فنفس الإنسان سوف ترقى فى درجات النظم النفسية العليا حيث كمال النظام وجمال الصور والاشكال وسمو طبيعة الوجود حتى يصل النظام النفسى إلى منتهى كماله وتصل طبيعته إلى منتهى سموها فى الوجود فنفوس الخلائق أيا كان نوعها تبدأ صغيرة ثم يسمو ويكمل وجودها ونظامها حتى تصل النفس إلى منتهى سموها وكمالها فى الوجود .

إن الحياة النفسية فى العالم المادى صورة ناقصة لمجرى النظام فى العالم النفسى الذى تنشأ عنه نفوس الخلائق فى الوجود وذلك لانقطاع وجوده من العالم المادى كل حين نتيجة تعارض طبيعته مع طبيعة النظام المادى فلا يتسنى لنا رؤيا حقائق مجرى النظام النفسى كاملا فى العالم المادى حتى ينكشف عن إدراكنا تقيده بطبيعة المادة فتظهر لنا حقائق العالم النفسى ومجرى النظم النفسية فى الوجود سواء كانت النفوس ترتبط بأجسام مادية أم يجرى نظامها مباشرا بعيدا عن العالم المادى حتى إذا بلغت نفوسنا منتهى كمالها أدركت عقولنا كيف يجرى النظام النفسى فى الوجود من مبدئه الى منتهى كماله فنرى نظما وصورا وأشكالا وأنواعا مختلفة للحياة النفسية ما كان يتسنى لنا إدراك وجودها أثناء حياتنا فى العالم المادى والعوالم النفسية التى تليه .

ان الذات التى تبدأ ويتغير وجودها ليست ذاتا ثابتة للمخلوق

اذ أن الذات الثابتة يقتضى ثباتها عـــدم البدء وعدم التغيير اللذين يستلزمان عدم الانتهاء كما يقتضى ثباتها ألا يضاف الى وجودها شيء ليس منها وأن لا يخرج عن ذاتهـــا شيء كان فيها وكل ذلك بعكس النفس التى تبدأ ويتغير وجودها فهى كالجسم ذات غير ثابتة للمخلوق فهى نظام مؤقت لوجوده نشأ عنه وجود ذات نفسيـة له فالمخلوق ليس ذات الأشياء النفسية ولـكنه انتظـام عناصرها انتظاما مؤقتاً مكونا وجوده النفسى فالأشياء النفسية التى تكون داخله فى نطـاق النفس تعتبر مكونة نفس المخلوق فإذا خرجت عن نطاق النظام النفسى فقدت اعتبار كونها نفسا له .

ان النظام النفسى كالنظام المادى يظـــل يجرى فى الوجود حتى يبلغ النظام منتهى كماله وكل ما بين النظـامين من فرق هو فى مدى كمال طبيعة النظام النفسى وكونه أكثر ثباتا من النظام المادى إذ أنه يسمو ويتغير مباشرة دون أن ينهدم حتى يصل النظـام النفسى إلى منتهى كماله فى الوجود وفضلا عن ذلك فإن انفكاكه يكون تدريجيا وبطء شديد فموت النظام النفسى وانهدامه لا يكون مرة واحدة كما يحدث ذلك بالنسبة للاجسام إذ أنه ينفك تدريجيا حتى إذا تم انفكاكه يكون المخلوق قد فقد ذاته المكون وجودها من انتظام عناصر درجة الإدراك النفسى كما سبق أن فقد المخلوق ذاته المكون وجودها من انتظـام عناصر درجة الإدراك المـادى فالمخلوق يفقد نفسه ويترك الحياة النفسية عندما يبلغ النظام النفسى منتهى كماله كما سبق أن فقد

المخلوق جسمه وترك الحياة المـــادية ومن عناصر درجة الإدراك النفسى تنشأ نظم نفسية أخرى جديدة ينشأ بنشوئها خلق جديد .

إن العالم النفسى كالعالم المادى ينشأ عن انتظام عناصره نفوس الخلائق كما تنشأ الأجسام عن انتظام عناصر العالم المادى فإذا انفك النظام فقد المخلوق ذاته التى انفك عنها النظام وتعود عناصرها مندمجة فى درجة الإدراك التى انتظمت منها والتى تنشأ منها، نظم أخرى جديدة ينشأ بنشوئها خلق جديد وما تنتهى النظم فحياة النفس كحياة الجسم فى بقاء نظامها يجرى فى الوجود فإذا فقدت العناصر النفسيه نظامها فقد المخلوق نفسه وتعود عناصر درجة الإدراك النفسى فتنتظم إلى نظم أخرى جديدة ينشأ بنشوئها خلق جديد وهكذا من غير انتهاء وما تزيد درجة الإدراك النفسى بزيادة عدد الخلائق وما تنقص بنقصها فنفوس الأولين والآخرين السابقين واللاحقين نشأت وتنشأ من انتظام عناصر درجة الإدراك النفسى وإليها تعود وما تنتهى النظم .

النظام العقلى

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ »

سورة الأنعام

إن الإنسان وهو صغير يكون عقله صغيرا وما يصدر عنه من إدراك صغير كذلك ثم يعظم عقله ويزداد إدراكه تدريجيا كلما عظمت فترة حياته وكذلك الحيوان وهو صغير يكون عقله صغيرا وإدراكه صغيرا كذلك ثم يعظم عقله ويزداد إدراكه تدريجيا كلما عظمت فترة حياته وكذلك الأمر بالنسبة لكل وجود عقلى فهو يزداد وجودا وإدراكا كلما عظمت فترة الحياة ذلك أن فترة الحياة هى التى تزيد العقل وجودا وإدركا وهذا يستلزم أن يكون بدء وجود العقل صغيرا بسيطا لايكاد يدرك ثم يعظم وجوده وادراكه تدريجيا نحو الكمال حسب مدى فترة حياته .

ان ادراكنا لمدى كمال الوجود العقلى مقيد بدرجتى الإدراك النفسى والمادى فنحن لا نرى حقائق الوجود العقلى لذلك استحال علينا أن نتبين مدى كمال عقل عن آخر وان كنا نستطيع أن نتبين ذلك ظاهريا حسب مدى كمال الوسيلة التى تستخدمها العقول فى

ظهورها أثناء حياتها فى العوالم الدنيا إذ يمكننا أن نقـــول أن عقل الإنسان أعظم وجودا وإدراكا من عقل الحيوان وأن عقل الحيوان أعظم وجودا وإدراكا من عقل الطيور وأن عقـل الطيور أعظم وجودا وإدراكا من عقل الحشرات وهكـذا تختلف العقول التى تحيا على الأرض فى مدى وجودها وإدراكها بعضها أكمل من بعض وهى جميعها تباشر الحياة فى العالم المادى وتدرك تدريجيا قواعده وأحكامه حسب مدى كمال ذاتها وحسب ما يصادف حياتها فيه من أحداث تشملها بإدراكها .

إن العقل هو مصدر علم المخلوق وإدراكه الواعى الذى يرى لذلك كان تدرج حياته فى العالم المادى تزيده علما بقواعده وأحكامه وكان بإمكانه أن يتجنب الحوادث والمهالك حسب مدى كمال طبيعته المدركه وحسب مدى كمال الوسيلة التى بواسطتها يتمكن العقل من الإدراك أثناء حياته فى العوالم الدنيا لذلك كانت امكانيات عقل الإنسان على الإدراك أعظم من امكانيات عقل الحيوان على الإدراك لكمال النظامين النفسى والمادى للانسان عنه بالنسبة للحيوان فكان الإنسان يعلم الحيوان كيف يعمل ويأمره فيطيعه ويعلمه مبادىء اللغة التى يخاطبه بها والتى علمه المقصود منها فالانسان يخاطب الحصان أن قف فيقف وأن سر فيسير كما أن الحيوان يسمع الناس يتكلمون ويرى أثر الكلام فيما يقع من حوادث تدور حوله فقد يقول شخص لصاحبه خذ هذا الحيوان واسقيه أو اذهب به إلى المنزل أو قدم له الطعام كما أن الحيوان يعلم مكان اقامته

وشخص صاحبه وما من شك فى أن جميع مايقع لهذا الحيوان أو أمامه ليس مجردا عن الفائدة التى تعود عليه فهو يدرك تدريجيا جميع الحوادث التى تمر كما يتعلم مبادىء اللغة التى نخاطبه بها ويكمن علم ذلك فى ذات عقله فإذا كان الحيوان يعيش فى مصر تعلم مبادىء اللغة العربية وإذا كان يعيش فى المانيا تعلم مبادىء اللغة الألمانية وهكذا تختلف مبادىء اللغات التى يتعلمها العقل أثناء تدرجه فى العالم المادى فإذا كان العقل مستقرا وجوده فى مكان معين وكان على درجة عظيمة من الإدراك يستطيع معها أن يعى مبادىء اللغة وهو فى هذه الدرجات الدنيا من الحياة كان بإمكانه أن يكلم الناس فى المهد صبيا عندما يأتى إلى الحياة إنسانا .

إن الاطفال تختلف عقولهم بعضهم عن بعض فبعض الاطفال يتعلم لغة بلده فى سهولة ويسر وفى وقت قصير وبعضهم يأخذ فترة أطول حتى يستطيع أن يتكلم وبعض الأطفال إذا علم لغة أجنبية كان سريعا فى معرفتها وحفظها وبعضهم سريع النسيان لألفاظها عسير الفهم لقواعدها وأحكامها وكثيرا لا يرجع ذلك لنقص فى الإدراك وإنما يرجع لعدم وجود أساس كامن لهذه اللغة فى ذات عقله يساعده على حفظها ومعرفتها .

ويخلص مما تقدم أن العقول الصغرى هى مصدر العقول العليا وأن العقول العليا كانت فى الماضى عقولا صغرى ثم عظم وجودها وإدراكها تدريجيا نحو الكمال وأن عقل الإنسان هو إحدى الدرجات العقلية التى يأخذها النظـــام العقلى أثناء تدرجه نحو الكمال وإذا لم

تكن هذه هى الحقيقة فمن أين يأتى عقل الإنسان إذا لم تكن تلك العقول الصغيرة مصدرا له وإلى أين تذهب تلك العقول الصغيرة إذا لم يكن العقل الإنسانى مستقبلا لها وما الإنسان الا احدى الدرجات العقلية التى يأخذها النظام العقلى فى الوجود أثناء تدرجه نحو الكمال حتى تصل ذات العقل الى منتهى كمالها فى الوجود ويصل ادراكها الى منتهى سموه وكماله .

اننا ندرك ونعى أن عقولنا تكون صغيرة عندما نكون صغارا ثم تعظم كلما عظمت فترة حياتنا كذلك ندرك ونعى أن أجسامنا ونفوسنا أكبر حجما من عقولنا وان كانت طبيعة عقولنا سامية الإدراك تشمل بإدراكها وسيطرتها درجات الإدراك الأقل منها حسب مدى كبر الوجود المدرك

ان تساوى العقل فى حجمه مع الجسم والنفس فيه تعارض النظام الوجود اذ يستحيل أن يتقيد وجود سمى كماله بما يساويه حجما من وجود آخر أقل منه سموا وكمالا اذ يستحيل أن يتعادل حجمان متساويان من درجتين مختلفتين من الإدراك فارتباط درجات الإدراك تخضع لنسب معينه يمكن أن يتم بينها التجاذب والارتباط فإذا تغيرت نسب الارتباط بين درجات الإدراك بما يستحيل معه بقاء الارتباط بينهما قائما تم استقلال كل وجود بحقيقة ذاته .

النـــوم

« وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهارِ »

« ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ »
« ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » سورة الأنعام

« اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي »
« مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى »
« إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »
سورة الزمر

النوم صنو الموت فكلاهما ينشأ عنه اختفاء الإدراك والشعور واختفاؤهما لا يعنى انعدام وجودهما فهما أساس حياة هذا الجسم الذى بدونهما تنعدم منه الحياة الواعية التى ترى والتى لولاها لما تميز الجسم عن سائر ما على الأرض من المادة وكان الجسم ترابا فنوم الإنسان مبناه انسحاب إدراكه ونفسه من المادة مع بقاء التجاذب والارتباط بينهما قائما فعلة نوم الإنسان إنما ترجع إلى طبيعة تكوينه المتباين فهو ناشىء عن اختلاف طبيعة النظم التى يتكون منها وجود المخلوق وحدوث انفراج بينهما مع بقاء التجاذب والارتباط قائما بين درجات الإدراك .

إن وجود التجاذب بين الأشياء يستلزم وجود التنافر بينها فإذا زاد التجاذب ترتب على ذلك زيادة التنافر حتى يكون هنالك تعادل بين التجاذب والتنافر فالشمس والأرض يتجاذب وجودهما كما يتنافران فى الوقت ذاته فإذا كان هنالك تجاذب فقط لاندمجت الأرض بالشمس فإذا كان هنالك تنافر فقط لخرجت الأرض عن نطاق الشمس

وانفردت وحدها فى الوجود وبذلك يختفى ظهور الشمس على ظهرها إن التجاذب بين الشمس والأرض يتعادل عند نقطة بينهما فإذا زاد التجاذب أنتج التنافر فعله فيباعد بينهما فإذا زاد التنافر أنتج التجاذب فعله مقربا بينهما حتى يكون كل من الشمس والأرض عند نقطة التعادل وما نقوله بالنسبة للتجاذب والتنافر بين أشياء الدرجة الواحدة من الإدراك يمكن قوله بالنسبة للتجاذب والتنافر بين عناصر الدرجات المختلفة من الإدراك وكل ما هنالك من فرق هو أنه ليس هنالك نقطة يتعادل فيها التجاذب والتنافر وذلك لاختلاف درجات الإدراك فى أساسها بعضها عن بعض إذ يزداد التجاذب حتى يبلغ منتهاه ويزداد التنافر حتى يبلغ منتهاه كذلك حسب طبيعة الأشياء التى يجرى بينها التجاذب والتنافر فإذا بلغ التجاذب منتهاه ظهرت أثار طبيعة كل وجود فى الوجود الآخر فإذا زاد التنافر فلا تظهر أثار طبيعة وجود فى الوجود الآخر وإن كانت علاقة التجاذب مازالت تربط بينهما فإذا بلغ التنافر منتهاه استقل كل وجود بحقيقة ذاته وبذلك لا يظهر فيه أى أثر لوجود آخر مغاير لطبيعة ذاته .

إن الخلائق يتكون وجودها نتيجة تجاذب وارتباط درجات الإدراك العقلى والنفسى والمادى ومجرى النظام بينها فعندما يبلغ التجاذب منتهاه يكون المخلوق يقظا بظهور آثار الحياتين العقلية والنفسية فى العالم المادى فإذا زاد التنافر كان المخلوق نائما لانسحاب الحياتين العقلية والنفسية من العالم المادى وإن ظل الإرتباط قائما بين هذه الدرجات

المختلفة من الادراك وذلك لزيادة مدى تجاذبها على مدى تنافرها فإذا بلغ التنافر منتهاه استقل كل وجود بحقيقة ذاته وهو ما نسميه موتا .

إن الفرق بين النوم والموت أن النوم هو زيادة التنافر بين درجات الادراك مع بقاء الارتباط بينها قائما لزيادة مدى تجاذبها على مدى تنافرها أما الموت فهو بلوغ التنافر منتهاه بين عناصر درجات الادراك مما ينشأ عنه استقلال كل وجود بحقيقة ذاته فلا يتقيد وجوده بوجود آخر وبذلك لا تظهر آثار أحدهما فى الوجود الآخر الذى استقل وجوده عنه .

إن المخلوق إذا كان وجوده مكونا من طبيعة واحدة لا يكون هنالك ما نسميه نوما بالنسبة إليه لأن النوم ناتج عن تجاذب وارتباط درجات مختلفة من الادراك وظهور آثار كل درجة فى الدرجات الأخرى التى ترتبط بها ، فالمادة هى المادة فى وجودها وطبيعتها فى أى مكان كانت وفى أى صورة تكون وكذلك النفس تتكون من طبيعة الأشياء النفسية مهما اختلفت حالاتها وصورها وأشكالها فهى من عناصر درجة الادراك النفسى المدرك لذاته حسب مدى كماله مهما اختلفت حالات عناصرها وصورها وكذلك العقل يتكون وجوده من عناصر درجة الادراك العقلى التى تدرك إدراكا واعيا يرى أينما كانت وفى أى صورة تكون فكل وجود ينتج أثره حيث وجد لذلك كان العقل مدركا بالليل كما يدرك بالنهار فى نطاق طبيعة درجات الادراك الدنيا المرتبط بها وجوده ولذلك كان بالامكان أن يكون

المخلوق يقظا بالليل نائما بالنهار .

إن إدراك العقل لما يمر به ويشمله بإدراكه أثناء النوم كثيرا ما ينساه لعدم كبر ذاته وتقيد طبيعة وجوده بدرجتى الادراك النفسى والمادى التى تحجب طبيعته الواعيه بحجاب كثيف من طبيعتهما غير المدركة إدراكا واعيا يرى لذلك اختلف إدراكنا أثناء النوم عنه بالنهار وكنا ندرك بالنهار ونعى ما ندركه لأن إدراكنا يكون لأشياء وأمور فى نطاق مدى كمال إدراكنا العقلى .

إن انفراد العقل بذاته وعدم ارتباطه بدرجات الادراك الدنيا ينشأ عنه ألا يكون هنالك ما نسميه نوما بالنسبة إليه إذ يكون وجوده المدرك مستقلا بحقيقته منتجا لأثره فى كل لحظة من لحظات وجوده .

الرؤيا والتذكر

« وَقَالَ المَلِكُ إِنِّى أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ »
« عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا المَلَأُ »
« أَفْتُونِي فِى رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا »
« أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ * »
« وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ »
« بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ »
« بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ »

« وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ »
« قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ »
« إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ »
« شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ۝ »
« ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ »
« يَعْصِرُونَ » سورة يوسف

« إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا »
« قَدَّمَ وَأَخَّرَ » سورة القيامة

الرؤيا والتذكر ينشئان عن الإدراك الواعى فالرؤيا إدراك العقل لما سوف يكون مستقبلا والتذكر هو إدراك العقل لما كان فى الماضى فكلاهما إدراك لما جرى ويجرى فى الوجود من أحداث ما تقدم منها وما تأخر يشملها العقل بإدراكه .

إن طبيعة العقل الواعية تستلزم أن لا ينسى العقل ما شمله بإدراكه لأن النسيان يتعارض مع طبيعة كون الإدراك واعيا إلا أننا نجد العقل ينسى كثيرا من الأحداث التى مرت به والتى شملها بإدراكه فلا يتذكر كثيرا منها وذلك راجع لعدم كبر ذاته ولتقيد طبيعته بطبيعة درجات الإدراك غير الواعية التى تتداخل فى طبيعة ذاته فتجب عنها صفتها بحجاب كثيف يعجز معها عن أن يتذكر كثيرا مما شمله بإدراكه وفضلا عن ذلك فإن تذكر العقل بعض ما شمله بإدراكه يكون غير

كامل إذ تختفى كثير من تفاصيله وراء حجابى النفس والجسم فإدراك العقل وتذكره لمـــا وعته ذاته مازال قاصرا عن أن يصل إلى طبيعة الإدراك الذاتى الكامل المستمد مباشرة من طبيعة واعية غير مقيدة بدرجات الإدراك غير الواعية حتى يستقل العقل بذاته وينفرد بحقيقته فيشمل العقل بإدراكه حقيقة ذاته وما وعته طبيعته فيدرك العقل ويتذكر جميع ما كان فى الماضى وماشمله بإدراكه منذ أن نشأ نظامه فى الوجود لا يغيب عن إدراكه منها شىء وكذلك يشمل العقل بإدراكه جميع ما سوف يكون مستقبلا بشمول علمه حقيقة وجوده ومجرى نظامه فى الوجود وبذلك يجتمع لدى العقل علم الماضى وما كان فيه والمستقبل وما يأتى به وإدراك العقل لذلك أمر يسير إذ أن عقل الانسان رغم صغر وجوده وتقيد طبيعته بدرجتى الإدراك النفسى والمادى يعلم أنه إذا امتدت به الحياة فسوف يصير شابا ثم كهلا ثم شيخا هرما ثم تنتهى حياته فهو يعلم قواعد الحياة المستقبلة التى تمر بها الحياة الإنسانية ولولا تقيد طبيعة إدراكه الواعى بدرجات الإدراك غير الواعية لشمل العقل بإدراكه تفاصيل جميع ما حدث فى الماضى وما سوف يحدث مستقبلا منذ أن نشأ نظامـــه فى الوجود إلى يوم يبلغ النظام العقلى منتهى كماله فارتباط العقل بدرجات الإدراك غير الواعيه ينشأ عنه انحجاب ذكره للماضى وإدراكه للمستقبل ومع ذلك فان العقل يتذكر بعض الحوادث التى مرت به كما يستطيع أن يشمل بإدراكه بعض الحوادث التى سوف تأتى مستقبلا وخاصة عند ما

يكون المخلوق نائما عن طريق الرؤيا ذلك لأن النوم ينشأ نتيجة زيادة التنافر بين درجات الادراك المختلفة فيترتب على ذلك تخفيف الحجب التى تتقيد بها طبيعة العقل الواعية وبذلك يتمكن العقل من أن يرى فى المنام كثيرا من الأحداث التى سوف يأتى بها المستقبل كما يستطيع أن يدرك مامر بإدراكه من حوادث ليس علمها وتذكرها لديه حاضرا وإن انطوى عليها وجوده وتقيد إدراكه لها بدرجات الادراك غير الواعية إلا أن إدراك العقل لما سوف يكون مستقبلا وتذكره وإدراكه لما كان فى الماضى عن طريق الرؤيا كثير ما يكـــون غير واضح إذ تختلط الحوادث أمام إدراكه بين الماضى والحاضر والمستقبل فكما ينكشف الادراك عن المستقبل فهو كذلك ينكشف عن الماضى ويتكيف كل ذلك بالحاضر وبذلك تختلط الحوادث والحقائق أمام العقول الانسانية لصغرها وتقيد طبيعتها بعناصر درجات الادراك غير الواعية بما قد تصل معه إلى أن تصبح بغير معنى يمكن إدراكه وفضلا عن ذلك فإن إدراك العقل لأمر قد حدث وشمله بإدراكه يختلف عن إدراكه لأمر لم يقع ولم يشمله العقل بإدراكه كما أن إدراكه لأمر قريب الحدوث يختلف عن إدراكه لأمر حدث فى الماضى البعيد ذلك لأن إدراك العقل لما سوف يكون ولما كان فى الماضى البعيد يكون إدراكا عقليا كثيرا ما يحتاج إلى تفسير بتطبيق الأمور العقلية على درجات الادراك الأقل حتى نستطيع أن نتبين حقيقة مارآه العقل .

إن موت الإنسان واستقلال نفسه عن التقيد بطبيعة عناصر العالم

المادى يترتب عليه انكشاف الحجاب المادى عن إدراك العقل ورؤياه بدرجة أعظم كثيراً مما لو كان المخلوق نائما وبذلك يتمكن العقل من إدراك ما حدث فى الماضى وماسوف يحدث فى المستقبل بدرجة أكمل حتى يصل كماله إلى درجة الإدراك الذاتى الكامل المستمد مباشرة من طبيعة ذاته .

« عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ »

سورة الانفطار

الوحى

« وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ »
« مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ »
« إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا »
« مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ »
« نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى »
« صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي »
« الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ »

سورة الشورى

« وأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ »
« الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي »
« سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ »

« فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »

سورة النحل

إن كل وجود يدرك ذاته حسب مدى سمو طبيعته فالإدراك المادى يدرك ذاته حسب مدى كماله وكذلك الأمر بالنسبة لكل درجة من درجات الإدراك فالإدراك مستمد من طبيعة الوجود وطبيعة الوجود مستمدة من مصدر الوجود الذى هو مصدر الإدراك والعلم والذى لولاه لانعدمت طبيعة الإدراك فكل ما يحدث فى الوجود إنما كان بإرادة مصدره الذى تعالت ذاته عن الإدراك .

إن الخلائق ناشئة عن مجرى النظام بين درجات مختلفة من الإدراك حيث تتقيد طبيعة كل وجود بطبيعة الوجود الآخر الذى يرتبط به لذلك كان العقل أثناء حياته فى العالمين النفسى والمادى فى حاجة إلى وسائل ينعكس بواسطتها الإدراك إلى طبيعته فكانت وسائل السمع والبصر والشم والكلام إلى غير ذلك من الوسائل فإذا كانت العقول مستقلة بذاتها كان إدراكها مستمداً مباشرة من طبيعها فتدرك العقول ذاتها بذاتها كما تشمل بإدراكها درجات الادراك الأقل منها مباشرة وبغير وسيلة .

اتجاهنا الى الله

« وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً »

سورة النساء

إن الناس محجوبة عقولهم بحجاب كثيف من الجسم والنفس وفضلا عن ذلك فإن عقولهم مازالت ناقصة الكمال منخفضة الادراك لذلك

كان إدراك الناس لمصدر وجودهم عسيراً عليهم مما ترتب عليه اختلاف عقائدهم وإن كانت كلها تهدف إلى عبادة مجهول رمزوا إليه فى العصور المظلمة بأشياء مادية ثم بخلائق حية ثم تطورت حتى عبد الانسان نفسه ورمز بذلك إلى ربه .

إن عبادة الانسان ربه تكون باتجاهه إليه واتجاه الانسان إلى ربه إنما يكون بوجه لأن الوجه هو المكان الذى ينكشف فيه الادراك فى العالم المادى لذلك كان اتجاه الانسان إلى ربه يجب أن يكون بوجهه ، وأينما نتجه بوجوهنا فثم وجه الله الذى عن وجوده صدر الوجود ومع ذلك نجد الأديان تشترط اتجاها معيناً للصلاة وحكمه ذلك توحيد قبلتهم وشمول النظام حياتهم ولأن للإنسان وجها واحداً فإذا كان للإنسان وجهين أحدهما من الأمام والآخر من الخلف لكانت صلاته فى الاتجاهين معا وإلا كانت صلاته ناقصة لعدم اتجاه إدراكه كلية إلى مصدر وجوده وممسك ذاته فليست العبرة أن نولى وجوهنا قبل المشرق والمغرب ولكن العبرة إنما تكون باتجاهنا اتجاها حقيقيا إلى مصدر وجودنا وممسك ذاتنا .

إن المخلوق إذا كان وجوده مكونا من أشياء عناصرها تعى وترى ذاتها بذاتها أى أن المخلوق يدرك ويرى بجميع ذاته وفى كل اتجاه فقبلته تكون فى كل اتجاه كذلك وصلاته إلى مصدر وجوده وممسك ذاته مباشرة وهذا سوف يكون عندما ينفرد العقل بذاته ويستقل بحقيقته فينكشف إدراكه ورؤياه لحقيقته فيرى ويدرك ذاته بذاته وحينئذ يرى ربه محيطا بوجوده ممسكا لذاته

غاية الحياة

« وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَاصْفَحْ »
« عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ »

سورة الزخرف

« كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً »
« وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ »

سورة الأنبياء

ما من شيء يحدث فى هذا الوجود وكان حدوثه عبثا حتى الموت الذى تفرغ منه المخلوقات وترى فيه الفنـــاء والانتهاء فيه سمو وكمال للمخلوق لايصل إليه إذا ما بقى على حاله .

إن العقل هو أساس حياتنا الواعية وهو يبدأ صغيرا تزيده الحياة وجودا وإدراكا . ولما كان العقل من أشياء سمى إدراكها وسمت نظمها فلا تعارض بينها ولا اختلاف ولا تنافر وهذا يؤدى إلى بطء كمال العقول الصغيرة لذلك اقتضت الحكمة أن يرتبط وجودها بدرجات من الادراك تساعد نظمها على سرعة السمو والكمال فكانت النفوس والأجسام التى تختلف فى طبيعة وجودها وقوانينها عن طبيعة العقول والتى يعتقد العقل على غير علم منه أنها طبيعة ذاته .

إن العقل يخضع لطبيعة وقوانين ذاته فإذا كان وجوده مرتبطا

بدرجات أخرى من الادراك استلزم ذلك خضوعه لطبيعتها وقوانينها إلا أن العقول الصغيرة لا تتقيد بقوانين هذه الدرجات المغايرة لطبيعة وجودها فينشأ عن ذلك تعارض بين قوانين طبيعة العقل وطبيعة وقوانين درجتى الادراك النفسى والمادى فيبتلى بأثارها فينتبه إدراكه لها مما يساعد نظامه على سرعة السمو و الكمال فإذا لم يكن العقل مدركا أن الماء يغرق الجسم فانه لا يتجنب السقوط فيه فيفقد المخلوق جسمه وهذا يؤدى إلى ألم النفس نتيجة فك التجاذب والارتباط بينها و بين الجسم وكذلك إذا لم يكن العقل مدركا أن السقوط يهلك الجسم فتردى وفقد المخلوق جسمه وتألمت نفسه من حدوث ذلك أدرك العقل ما حدث للجسم وكان بإمكانه أن يتجنب السقوط مستقبلا وكذلك إذا لم يكن العقل مدركا أن النار تحرق الجسم فوقع فيها واحترق جسمه وتألمت نفسه لذلك أدرك العقل ما حدث وكان بإمكانه أن يتجنب النار وعذابها مستقبلا .

إن إدراك العقل لطبيعة وقوانين درجات الإدراك الدنيا يكون فى نطاق مدى كمال ذاته فما يقع للبعوضة من أحداث ليس له من الأثر مثل الذى يقع للحصان وذلك لعظم الفرق بين عقلهما وإدراكهما فالعقل عندما يكون صغيرا يدرك المادة كوجود إلا أنه لا يستطيع التمييز بين الصور والحالات المختلفة للوجود المادى فيبتلى بقوانينه بما يصيب الجسم من أحداث وما يصيب النفس من آلام يتجه لها إدراكه فيعمل فى نطاق مدى كمال ذاته على أن يتجنب الحوادث والمهالك التى تصيب الجسم وكل ما يؤدى إلى ألم النفس وشقائها فيعمل على توافق حياته مع

طبيعة وقوانين درجات الإدراك المكون من انتظام عناصرها المخلوق .

إن انتهاء الحياة المادية للمخلوق بموت الإنسان ينشأ عنه استقلال النفس بذاتها عن طبيعة وقوانين العالم المادى ولما كانت طبيعة النفس متجاذبة مع طبيعة العناصر المادية وكان نظامها بطىء التغير كان موت الإنسان ينشأ عنه شعور نفسه بالجوع والعطش وكافة الرغبات التى كانت تباشرها النفس أثناء حياتها المادية لذلك أمرت الأديان الناس بالصيام وذلك تمهيدا لحياتهم النفسيـــة وتحرر نفوسهم من الخضوع لطبيعة وقوانين العالم المادى حتى لا تشعر النفس بألم الجوع والعطش وألم الحرمان من كافة الرغبات الناشئة عن توافق النفس وطبيعة الحياة المادية عندما تستقل النفس بذاتها وتحيا فى العالم النفسى فبالصيام يساعد العقل ذاته عل أن تتحكم فى الوجود النفسى كما يساعد النفس على أن تتخلص تدريجيا من العناصر النفسية الشديدة التجاذب بالعناصر المادية وذلك تمهيدا لاستقلال النفس بذاتها وحياتها حياة نفسية خالصة وعدم حاجتها إلى مقومات الحياة الماديه فلا يكون هنالك ألم شديد بالجوع والعطش يعانيه المخلوق بغير حاجة إلى ذلك فكان فرض الصوم على الناس رحمة بهم وتخفيفا عنهم من عذاب شديد مستمد مباشرة من طبيعة نفوسهم وما يعذبهم أحـــد فليست حكمة الصوم شعور الأغنياء بجوع الفقراء وإلا لفرض الصوم على الأغنياء وحدهم إذ ليس هنالك من حكمة فى فرض الصوم على فقير جائع .

إن حكمة فرض الصوم متعلقة بنظام الوجود لذلك كان واجبا

على الناس جميعا بشرط ألا يلحق الصوم بحياتهم المادية ضررا بالغا ، وكذلك كانت الحكمة من ايجاب الصدقات هو أن يساعد العقل نفسه على أن تتخلص من حبها الشديد لعناصر ومقومات الحياة المادية التى تحياها فى هذا العالم وإن لم يفعل لقصور إدراكه فإنه يبتلى بفعل القوانين النفسية وآثارها التى ينتبه لها إدراكه وإن شقيت بها حياته فتساعد هذه الآثار العقل على سرعة النضوج والكمال وبذلك يتسنى له أن يدرك حقائق وقوانين الوجود .

إن حياة العقل فى العالمين النفسى والمادى تكون سعيدة أو شقية حسب مدى سمو إدراكه لنظم وقوانين هـــذين العالمين فهو يسعد بإدراكها ويشقى بجهله لها فأساس سعـــادة المخلوق وشقائه طبيعة نظمه ومدى كمال إدراكها فالعقل عندما يكون صغيرا تكون حياته فى الدرجات المنخفضة من الإدراك حياة شقاء يختلف مداه حسب مدى كمال ذاته فسمو الإدراك أساس السعادة وانخفاضه أساس الشقاء فاعتقاد العقل أن ذاته هى المادة مبناه عدم كمال ذاته فإذا مات المخلوق وأدرك موته فإن كل ما يطرأ على الجسم من عوامل التحلل والانفكاك تتألم لها نفسه وتشقى بها حياته نتيجة نقص إدراكه وكذلك اعتقاد المخلوق أنه سوف ينعدم بموته يؤدى إلى شقائه وعذابه عندما يموت إذ يختلط الأمر عليه عندما تستقل نفسه بذاتها عن العالم المادى فلا يدرى المخلوق أهو حى أم ميت فهو يعتقد أنه سوف ينعـدم بموته ولكنه يجد أنه ما زال يرى ويدرك ويحس ويشعر فوجوده يكذب

اعتقاده فهو يعتقد العدم بالموت وهو لم ينعدم له وجود فى حين أنه قد مات حقيقة ويظل تائها لا يدرى موته من حياته شاكا فى حقيقة وجوده شقيا بحياته حتى يصل إدراكه إلى علم الحقيقة فيزول عذابه وتهدأ نفسه بكمال إدراكه وكذلك اعتقاد المنتحر أنه سوف يتخلص من الحياة التى يحياها ومن الشقاء الذى يعانيه فاذا فقد المخلوق جسمه وجد نفسه حيا لم ينعدم له وجود فى حين أنه يرغب فى افناء ذاته مع استحالة ذلك عليه إذ أن رغبة صادرة عن ذات العقل لا تستطيع أن تهدم ذات مصدرها ولا نظام النفس لسمو طبيعتها وكمال نظامها فلا يستطيع العقل أن ينفذ رغبته ولا أن يصل إلى غايته إذ أن النظام يظل يجرى فى الوجود سواء أراد المنتحر ذلك أم لم يرد ذلك أن حياة المخلوق ناشئة عن مجرى نظام فى الوجود لادخل لإرادته فى حدوثه ويظل المنتحر كذلك حتى يصل إدراكه إلى علم الحقيقة فيعلم أن ما يبغيه غير الحق فيعدل عن رغبته وينظر نحو كمال وتقدمه .

« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۝ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۝ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى »

سورة النجم

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ »
« إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ »

سورة الجاثية

سعادة وجودنا بذات ربنا

« وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ »
سورة الذاريات

إن كل درجة من درجات الإدراك يتقيد مدى كمالها بذاتها تسمو بسموها وتسعد بكمالها فسعادة الإدراك مستمدة مباشرة من طبيعة ذاته وفعل قوانينه لذلك كان ارتباط العقل بدرجات الإدراك المنخفضة الكمال قيد على طبيعة ذاته السامية يجعل حياته فيها حياة شقاء وعذاب ولو اعتقد العقل أنه سعيد بها فمهما كانت سعادته بها فهى دون سعادته الحقيقية المستمدة مباشرة من طبيعة ذاته .

إن سعادة العقل فى شمول إدراكه حقيقة ذاته ومجرى نظامه فى الوجود بأن تشمل عناصر ذاته ذاتها بإدراكها ورؤياها لذلك كان العقل هو أول إدراك سمت سعادته بذاته إذ أنه إدراك عناصره تعى وترى ذاتها بذاتها ، ولن يتسنى للعقل أن يسعد بحقيقة ذاته حتى تستقل ذاته عن التقيد بطبيعة درجات الإدراك الأقل منه والتى عناصرها من إدراك لا يعى ولا يرى وبذلك تشمل عناصر العقل ذاتها بإدراكها ورؤياها

إن الإدراك درجات بعضها أكمل من بعض ولا حصر لعددها لذلك كانت درجات السعادة التى تسعد بها النظم لا تنتهى لأن النظام يجرى بين درجات الإدراك متجها من الدرجات الأقل إلى الدرجات الأعلى سموا وكمالا لذلك كانت ذات الخلائق درجات مختلفات لمدى سعادتها بمصدر وجودها الذى تستمد منه الوجود الذى سعدت به .

إلى ابن المصير

« وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ »
سورة النجم

« وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ »
سورة الزخرف

إن الكمال غاية كل حياة وأن الموت سبيلها وأن إلى ربك المنتهى إن القاعدة الأساسية أن كل ما يبدأ ينتهى إذ أن البدء يقتضى الانتهاء وأن عدم البدء يستلزم عدم الانتهاء ذلك أن الذات التى تبدأ هى ذات غير ثابتة تتغير وتنتهى فإذا كانت الذات ثابتة إقتضى ثباتها أن لا تبدأ وأن لا تتغير وأن لا تنتهى فهذه هى صفات الوجود الثابت .

إن العقول تبدأ صغيرة ثم يعظم وجودها فهى ليست ذاتا ثابته للمخلوق فالعقل كالجسم نظام مؤقت للأشياء تنشأ عنه عقول الخلائق كما تنشأ الأجسام بنشوء النظم المادية فالعقول تبدأ وتنتهى عندما يبلغ النظام العقلى منتهى كماله وكل ما بين العقل والجسم من فرق إنما هو فى سمو طبيعة درجة الإدراك العقلى عن طبيعة درجة الإدراك المادى فكانت العقول أسمى إدراكا ونظما من الأجسام فحياة المخلوق العقلية تبدأ ببدء النظام العقلى وتنتهى بانتهائه عندما يبلغ النظام العقلى منتهى كماله فى الوجود ، إلا أن انتهاء النظام العقلى يكون بانفكاك عناصره تدريجيا وببطء شديد بخروجها عن نطـــاق النظام العقلى التى كانت

منتظمة إليه وتفقد اعتبارها ذاتا للمخلوق ومنها تنشأ نظم عقلية جديدة ينشأ بنشوئها خلائق أخرى جديدة فالعالم العقلى كالعالم المادى تنشأ من انتظام عناصره حياة الخلائق فإذا انفك النظام فقد المخلوق ذاته التى انفك نظامها ثم تعود عناصرها إلى الانتظام مرة أخرى فتنشأ بذلك حياة أخرى جديدة وهكذا نظام عقلى ينشأ فتنشأ الحياة بنشوئه ونظام عقلى ينتهى فتنتهى بانتهائه حياة المخلوق العقلية وما تنتهى النظم التى تنتظم إليها درجة الإدراك العقلى وما يزيد وجودها بزيادة عدد العقول وما تنقص بنقصها فعناصرها تملأ الوجـــود ووجودها بلا حدود وكل ما ينشأ فيها إنما هو النظام الذى تنتظم إليه الأشياء العقلية .

إن حياة الخلائق إنما هى فى بقاء نظامها يجرى فى الوجود بين درجات الإدراك فالذات تبقى للمخـــلوق طالما كان النظام قائما بين الأشياء فإذا فقدت الأشياء نظامها فقد المخلوق ذاته التى تخلى عنها النظام فذات الخلائق ليست ذات الأشياء العقلية ولكنها النظام المؤقت الذى تنتظم إليه فحياة الخلائق قاصرة على مجرى النظام فى الوجود بين الأشياء أما ملكية الأشياء فهى خالصة لمصدر وجودها وممسك ذاتها فى أى مكان كانت وفى أى صورة تكون .

إن انتهاء النظام العقلى وانفكاك عناصره لا يعنى انقطاع مجرى النظام بين الدرجات المختلفه من الادراك ذلك أن امكانيات الوجود على استيعاب عالمين مختلفة الكمال بعضها أكمل من بعض لا حصر لها لذلك كان النظام يجرى فى الوجود بين درجات من الإدراك لا تنتهى بحصر ولا عدد ويتقيد مدى كمال المخلوق وسعادته بمدى سمو درجة

الإدراك التى يجرى فيها نظام وجوده .

« فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ »

سورة النور

« أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ »
« ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ »
« الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ »
« قَدِيرٌ »

سورة العنكبوت

إن كل ما جرى ويجرى فى الوجود أزلا إنما هو النظام الذى تنتظم اليه عناصر كل درجة من درجات الإدراك وما يجرى بين الدرجات المختلفة من نظام تنشأ عنه حياة الخلائق التى تنتهى بانفكاك النظم وكلما انفك نظام قام بانقاضه نظام جديد ينشأ بنشوئه خلق جديد وما تنتهى النظم وما زاد الوجود منذ الأزل شيئا وما نقص منه شىء فالله قد خلق الوجود منذ الأزل كاملا وبلا حدود ونظمه فأبدع نظامه فكانت حقائق وجودنا فنحن باعتبارنا عناصر من عناصر هذا الوجود موجودين وجودا أزليا خالدا لا ينتهى مهما تعددت النظم وأختلفت الأشكال .

إن كل ما نراه فى هذا الوجود من شموس وكواكب وجبال ورمال وأنهار وبحار وما به من جنات وزرع ونخيل وما نشأ فيه من حياة للإنسان والحيوان والطيور وما يجرى فيه من قطارات وسيارات وما عمله الإنسان وما سوف يعمله وما علمه الإنسان وما سوف يعلمه

إنما هى صور أزلية خالدة لما جرى فى الوجود أزلا وسوف تظل هذه الصور تجرى فى الوجود أبداً ومن غير انتهاء وكذلك الأمر بالنسبة لما جرى ويجرى فى كل درجة من درجات الإدراك إنما هى نظم وصور أزلية لما يجرى فى الوجود أزلا ومن غير انتهاء وسوف ندرك ذلك ونراه عندما ينتقل نظامنا إلى درجات الإدراك العليا .

الإدراك مصدر القوة

« قالَ يا أيُّها الملأُ أيُّكُمْ يأتيني بعرشِها قبلَ أنْ يأتُوني »
« مُسلمينَ ۞ قالَ عفريتٌ منَ الجنِ أنا آتيكَ به قبلَ »
« أنْ تقومَ منْ مقامِكَ وإني عليهِ لقويٌّ أمينٌ ۞ قالَ الذي »
« عندَهُ علمٌ منَ الكتابِ أنا آتيكَ بهِ قبلَ أنْ يرتدَّ إليكَ »
« طرفُكَ فلمَّا رآهُ مستقراً عندَهُ قالَ هذا منْ فضلِ ربِّي ليبلوَني »
« أأشكرُ أمْ أكفرُ ومنْ شكرَ فإنَّما يشكرُ لنفسِهِ ومَنْ »
« كفرَ فإنَّ ربِّي غنيٌّ كريمٌ »

سورة النمل

« إذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ اذكرْ نعمتي عليكَ وعلى »
« والدتِكَ إذْ أيَّدتُّكَ بروحِ القدُسِ تُكلِّمُ الناسَ في المهدِ »
« وكهلاً وإذْ علَّمتُكَ الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ »
« وإذْ تخلُقُ منَ الطينِ كهيئةِ الطيرِ بإذني فتنفُخُ فيها فتكونُ »
« طيراً بإذني وتُبرِئُ الأكمهَ والأبرصَ بإذني وإذْ تُخرِجُ »
« الموتى بإذني وإذْ كففتُ بني إسرائيلَ عنكَ إذْ جئتَهُمْ »
« بالبيِّناتِ فقالَ الذينَ كفروا منهُمْ إنْ هذا إلاَّ سحرٌ مبينٌ »

سورة المائدة

الإدراك مستمد من طبيعة الوجود فالوجـــود هو الإدراك الموجود وجودا حقيقيا المدرك لذاته حسب مدى كماله وكذلك القوة مستمدة من طبيعة الإدراك وفعل قوانينه وحسب مـدى سمو طبيعة الإدراك يكون مدى علمه وقوته فكلما سمت طبيعة الإدراك عظمت قوته فالإدراك الأعلى كما يشمـل درجات الإدراك الأقل بادراكه وعلمه فهو كذلك يشملها بسيطرته .

إن العقل كما يشمل درجات الادراك الأقل بإدراكه فهو كذلك يشملها بسيطرته حسب مدى كماله فى نطاق ما تسمح به طبيعتها فرغبة تصدر عن العقل تحرك اليد وتأخذ الكتاب فالعقل قد بلغ من كمال طبيعته أن رغبة تصدر عنه لها أثرها الفاعل فى درجات الإدراك الأقل وكلما عظمت طبيعته عظم فعل الرغبة الصادرة عنه إلا أن ارتباط طبيعة العقل بعناصر درجات الإدراك قيد سيطرة رغبته عليها بطبيعة وجودها لذلك كانت سيطرة العقل على الأشياء التى لا يرتبط بها وجوده أعظم من تلك التى ترتبط بها ذاته وكل ذلك فى نطاق ما تسمح به طبيعة درجات الإدراك الأقل فالعقل الإنســـانى ينظم فى الأرض ويبدع فيها النظام ويسيطر على عناصر المادة فجرت فى الأرض سيارات وطارت فى السماء طائرات فإذا كان العقل كبير الذات نوعا وكان تقيده بعناصر درجات الإدراك الأقل غير شديد فإن رغبة تصدر عنه يكون لها فعلها المباشر فى عناصر الوجود فتستطيع أن تصورها كيف تشاء وأن تنقلها إلى حيث تريد وأن تتحكم فى أساس درجتى الإدراك النفسى والمادى فيستطيع العقل برغبة تصدر عنه أن

يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله فإذا كان العقل عظيم الذات منفرد الوجود لا يتقيد بطبيعة درجات الإدراك الدنيا كان خضوع عناصر درجات الإدراك الأقل لرغبته عظيما فرغبة تصدر عنه تفعل منها ما شاءت من النظم والصور والأشكال .

إن العقل الإنسانى ينظم فى الأرض ويبدع فيها النظام فى نطاق مدى كماله إلا أنه يأتى إلى العالم المادى ويجده منظما أبدع نظام دون تدخل من إرادته وما هو خارج عن حـــدود تفكيره وقوته فيرى الانهار تجرى والسماء تمطر والشمس تطلع وتغرب بما ينفع الناس وما تُرك للناس من تنظيم إلا ما كان فى نطاق مدى كمال وجودهم العقلى أما ما كان خارجا عن نطاق مدى كمال عقولهم فلا بد أن تكون قد قامت به عقول عليا فى إمكانها إبداع هذا النظام .

وعلى سبيل القياس العقلى وإن كان مستغربا يمكن أن يكون نشوء الحياة فى العالم المادى بـــكافة صورها وأشكالها يتم بفعل مدركات عليا تقوم بتنظيم عناصر درجات الادراك الأقل منها وتكون رقيبة عليها مسيطرة على نظام وجودها فما تأتيه من حركة أو فعل إلا وتخضع لرقابة المدرك الأعلى القائم على نظام وجودها وبذلك تقوم درجات الادراك العليا بتنظيم عناصر درجات الادراك الأقـــل منها فيجرى النظام فى الوجود من درجات الادراك الدنيا إلى درجات الادراك العليا وهكذا يجرى النظام فى الوجود أزلا ومن غير انتهاء كلما انفك نظام قام بانقاضه نظام جديد ينشأ بنشوئه خلق جديد يتقيد مدى كماله

بمدى كمال درجة الادراك التى يجرى فيها نظـــامه وما تنتهى النظم التى تجرى فى الوجود .

إن كل وجود ليس يالـه حتى ولو كـان خالقا لأن الخلق تنظيم لعناصر الوجود لا ايجادا لهـــا حيث لم تكن فملكية الأشياء خالصة لمصدر وجودها أينما كـانت وفى أى صورة تكون .

« وَهُوَ القَاهِرُ فوقَ عِبادِهِ ويُرسِلُ عَلَيكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إذَا »
« جَاءَ أحَدَكُمُ المَوْتُ تَوفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ »

سورة الأنعام

« وَرَسُولاً إلَى بَنِى إسْرَائِيلَ أنِي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ »
« أنِّى أخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ فَأنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ »
« طَيراً بِأذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ وَأُحْى المَوْتَى بِأذْنِ »
« اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فى بُيُوتِكُمْ إنَّ فى ذَلِكَ »
« لآيَةً لَكُمْ إنْ كُنتُم مُؤْمِنِينَ »

سورة آل عمران

الله
مصدر الوجود

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »

سورة الشورى

« شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

سورة آل عمران

إن الوجود الذاتي هو الذي يستمد حقيقة وجوده من ذاته مباشرة فذاته حقيقية ثابتة والذات الثابتة لا تبدأ ولا تتغير ولا تزيد ولا تنقص ولا تنتهي فوجودها دائم وحقيقتها ثابتة .

إن الوجود الذاتي تستلزم طبيعته أن يكون مطلق الوجود وجوده بلا حدود لأن كل وجود يتقيد ويتحدد لا يكون موجودا بذاته إذ أن التقييد والتحديد يتعارض وكون الوجود مستمدا وجوده من طبيعة ذاته مباشرة وهذا يستلزم أن يكون الوجود الذاتي واحدا لا يتعدد لأن التعدد تقييد وتحديد للوجود بعدد أفراده وهذا يتعارض وكون الذات موجوده بذاتها .

إن وحدانية الوجود الذاتي تستلزم عدم التجزؤ لأن التجزؤ صنو التعدد تقييد لطبيعة الوجود الذاتي إذ تكون مكونة من أشياء

يتقيد وجودها ويتحدد فلا تكون الذات موجودة بذاتها فالوجود الذاتى واحد لا يتعدد ، واحد لا يتجزأ .

إن الوجود الذاتى مطلق الوجود وجوده بلا حدود لذلك كان وجودا ثابتا لا يتحرك لأنه إذا تحرك لا يكون وجوده مطلقا إذ ينتقل وجوده من مكان يكون فيه إلى آخر يشغله بوجوده فى حين أن الوجود الذاتى مطلق الوجود فى كل الوجود وجوده فوجوده أساسى مطلق لا يشغل حقيقة وجوده وجود آخر سواه لأن ذاته قد تعالى وجودها عن الأشياء فكانت أساس كل وجود وكانت الوجود الذى وسع بوجوده درجات من الوجود لا تنتهى بحصر أو عدد .

إن الوجود الذاتى مطلق الإدراك ذلك أن إدراكه مستمد من وجود حقيقى يستمد وجوده وإدراكه مباشرة من حقيقة ذاته لذلك كان إدراك الذات لذاتها حقيقيا مطلقا فالوجود الذاتى مطلق الوجود مطلق الإدراك فأيا ما كان من ذاته مدرك إدراكا مطلقا للذات كلها فإدراكه لا ينقص بنقص الوجود ولا يزيد بزيادته فذرة من الذات المطلقة وهى لا تتكون من ذرات لأنها قد تعالت عن التعدد والتجزؤ تدرك وترى الذات المطلقة إدراكا ورؤيا مطلقين كما تشمل بإدراكها ورؤياها جميع درجات الإدراك وفضلا عن ذلك فهى قادرة على ايجاد الوجود غير المحدود وأن تسع بوجودها الوجود غير المحدود ذلك لأنها أكبر من الوجود وإن اجتمع إذ أنها فى منتهى كمال الوجود فهى موجودة بذاتها وفى منتهى كمال الإدراك إذ أن إدراكها مستمد من ذات مطلقة الكمال فأيا ما كان من ذاته تعالى هو الله فى منتهى كماله

ورغبة عنه كانت فكانت درجات الإدراك وكانت الأقدار الأزلية التى جرى ويجرى عليها الوجود أزلا ومن غير انتهاء فهو تعالى مصدر القوة والعلم المستمدان مباشرة من ذاته الحقيقية المطلقة الكمال فلولا الله لانعدم الوجود من وجود مطلق لاحد له إلى عدم مطلق لا وجود له بمعنى انعدام الفضاء والمكان فلولا الله ما كان المكان وهو ما أوجد الله فى الوجود من درجات الادراك ولا الفضاء وهو ما يقع بين المدركات من خلاء ولا الزمان وهو ما ينشأ عما يجريه الله فى الوجود من نظام فلولا الله ما كان المكان ولا الفضاء ولا الزمان .

* * *

إن المدح أكثره كذب ورياء وإن طابق الحقيقة فى شىء فهو يجاوزها فى أشياء . أما الله فما يصل مدح إلى وصفه ولا حقيقة إلى حقيقته ولا إدراك إلى إدراكه لأنه تعالى عن المدركات فهو مصدرها ولوجودها الحقيقى فهو منشؤها وهو الوجود الحقيقى الثابت الذى يحرك الوجود ولا يتحرك والذى يمسك ذات كل شىء وما من شىء يرى له ذات إذ كيف يصل إدراك مقيد محدود إلى إدراك مصدره الذى تعالى عن الحدود .

فتعالى ربنا ما نصل اليه بادراك

إن ذاتك وحدها هى التى تدرك ذاتك وإليك تستند كل ذات فى وجودها وإدراكها فأنت مصدر القوة والعلم خلقت الوجود منذ

الأزل كاملا وبلا حدود ونظمته فابدعت نظامه فكانت حقائق وجودنا فنحن باعتبارنا عناصر من عناصر هذا الوجود موجودين وجودا أزليا خالدا لا ينتهي مهما تعددت النظم واختلفت الأشكال فذاتنا إلى جوار ذاتك وهم وخيال إلا أن قدرتك التي لا تتناهى جعلت من الخيال حقيقة وما ذاتنا إلا درجات مختلفات لمدى سعادتنا بذاتك الحقيقية .

المحلة الكبرى في يوم السبت { ١٣ شوال سنة ١٣٧١هـ
٥ يونية سنة ١٩٥٢م

فهرس الكتاب

صفحة

إهداء الكتاب

٥ المقدمة

٦ الوجود

٨ الزمان

١٠ المدركات

١٧ الإدراك

ا . درجة الإدراك المادى

٢٠ ب . درجة الإدراك النفسى

٢٤ جـ . درجة الإدراك العقلى

٢٧ العلم

٢٩ الإدراك المطلق

٣٢ إمكانيات الوجود

٣٧ مجرى النظام فى الوجود

٤٨ النظام المادى

٥٠ مدى كمال النظام المادى

٥٢ النظام النفسى

٥٣ مجرى النظام النفسى فى الوجود

٥٩ مدى كمال النظام النفسى

صفحة

٦٤ النظام العقلى
٦٧ النوم
٧١ الرؤيا والتذكر
٧٥ الوحى
٧٦ اتجاهنا إلى الله
٧٨ غاية الحياة
٨٣ سعادة وجودنا بذات ربنا
٨٤ إلى أين المصير
٨٨ الإدراك مصدر القوة
٩٢ الله مصدر الوجود

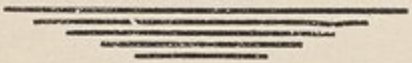

تصويبات

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٩	٢	مَنْ	مِنْ
٩	٩	فيحى	فيحي
١٣	٦	بعضه بعض فى	بعضه فى بعض
١٥	٢٠	وإلا ن الموت	وإلا كان الموت
٢٣	٢	وان	إن
٢٣	٣	لم ، يبلغ	لم يبلغ
٢٣	١٣ ، ١٤		كل منها أخذ مكان الآخر
٢٥	٧	طبيعه	طبيعته
٢٥	٩	حقائقها بنور إدراكها	منكشفة حقائقها بنور إدراكه
٣٢	١	شجرًة	شجرَةٍ
٣٣	١ ، ٢		مكررين
٣٦	٤	محدود	محدودة
٤٣	٦	يتوافق	تتوافق
٤٦	١٩	دلك	ذلك
٤٧	٥	بينه وبينها	بينه وبينهما
٤٨	١١	خلقنا خلقا	خلقنا
٥٤	١٠	حسب ماوصل إليه	حسب مدى ماوصل إليه
٥٩	١٥	الدى	الذى
٥٩	١٨	شاخت	شاخت

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٦٠	١	لاتتواق	لاتتوافق
٧١	١٣	يابست	يابسات
٧٢	١٣	طبيعة	طبيعة
٧٢	١٤	بتعارض	يتعارض
٧٣	١٣	حيانه	حياته
٧٥	١١	روحً	روحاً
٧٥	١٦	النحال	النحل
٧٧	٩	معيناً	معينا
٧٩	٣	وجودها فينشأ	وجودهالعدم إدراكها
			قوانين هذه الدرجات
٨٠	١١	عل	على

مطبعة شباب محمد صلى الله عليه وسلم

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074496363
2274
.36182
.348